ظاهرة التخصص في الشعر والنقد
في العصر الأموي
"بيئة الحجاز"
-دراسة تحليلية نقدية-

للدكتورة:

معتوقة سالم المعطاني

أستاذ الأدب المساعد

بقسم اللغة العربية وآدابها

جامعة أم القرى

ظاهرة التخصص في الشعر والنقد في العصر الأموي " بيئة الحجاز" –دراسة تحليلية نقدية–

للدكتورة:

معتوقة سالم المعطاني

d.m555@hotmail.com

الملخص:

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، سيدنا محمد ، الذي ملك ناصية البيان وتحدى الفصحاء العرب بمعجزة القرآن.

أما بعد:

فالتخصص ظاهرة فريدة عرف بها العصر الأموي دون غيره من العصور، نتيجة للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة.

كما يعد العصر الأموي من أكثر العصور في الأدب العربي القديم ازدهارا بالشعر والنقد. فمن خلال هذه الفترة التي تمتد أكثر من تسعين عاما إلا قليلا ، وجدنا فيها مادة شعرة ونقدية متنوعة ، تستحق الدراسة والتحليل برزت فيها، وانعكست عليها.

فقد تناولت هذه الدراسة ظاهرة التخصص في الشعر والنقد في بيئة الحجاز بالذات؛ لأنها من أخصب البيئات الشعرية والنقدية التي نمت فيها الظاهرة بشكل آسر وقوي، وتفرد بها فنجد أن كل بيئة من بيئات الحجاز تفردت بلون معين من الشعر الغزلي الذي شكَّل ظاهرة مختلف عن كل بيئة مكونا منزعا خاص يؤدي إلى ظاهرة التخصص .

وقد قسمت البحث إلى فصول ومباحث سبقتها مقدمة وتمهيد تناولت في :

*الفصل الأول: ظاهرة التخصص في " الشعر ، وبه مبحثان .

*الفصل الثاني: ظاهرة التخصص في " النقد" ، وفيه مبحثان.

الكلمات المفتاحية : ظاهرة التخصص – الشعر والنقد– العصر الأموي –بيئة الحجاز – دراسة تحليلية نقدية.

The phenomenon of specialization in poetry and criticism in the Umayyad era
- Critical analytical study-

To the doctor:
Matoqa Salem Al-Maatani
d.m555@hotmail.com

Abstract:
Thank God, the Lord of the Worlds, and peace and prayer for the good of all God's creation, Our Lord Muhammad, who king the corner of the statement and challenged the Arab Easters with the miracle of the Qur'an.
After:
Specialization is a unique phenomenon that was known only to the Umayyad era, as a result of the political, social and economic conditions of that period.
The Umayyad period is also one of the most flourishing times in ancient Arabic literature with poetry and criticism.
During this period of more than ninety years, we found a variety of poetry and monetary material, worthy of study and analysis, which emerged and reflected on it.
This study dealt with the phenomenon of specialization in poetry and criticism in the specific environment of Hijaz, because it is one of the most fertile environments of poetry and monetary in which the phenomenon has grown in a captivating and strong way, and its uniqueness, we find that each of the environments of hijaz is unique to a certain color of spinning hair, which was a different phenomenon from each environment. Y leads to the phenomenon of specialization.
The research was divided into chapters and investigations preceded by an introduction and a preface addressed in:
*Chapter 1: The phenomenon of specialization in poetry, with two researches.
*Chapter 2: The phenomenon of specialization in "criticism", in which two researchers.
Keywords: The phenomenon of specialization - poetry and criticism - Umayyad era - Hijaz environment - critical analytical study.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، سيدنا محمد ، الذي ملك ناصية البيان وتحدى الفصحاء العرب بمعجزة القرآن.

أما بعد:

فالتخصص ظاهرة فريدة عرف بها العصر الأموي دون غيره من العصور، نتيجة للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة.

كما يعد العصر الأموي من أكثر العصور في الأدب العربي القديم ازدهارا بالشعر والنقد.

فمن خلال هذه الفترة التي تمتد أكثر من تسعين عاما إلا قليلا ، وجدنا فيها مادة شعرة ونقدية متنوعة ، تستحق الدراسة والتحليل برزت فيها، وانعكست عليها.

فقد تناولت هذه الدراسة ظاهرة التخصص في الشعر والنقد في بيئة الحجاز بالذات؛ لأنها من أخصب البيئات الشعرية والنقدية التي نمت فيها الظاهرة بشكل آسر وقوي، وتفرد بها فنجد أن كل بيئة من بيئات الحجاز تفردت بلون معين من الشعر الغزلي الذي شكَّل ظاهرة مختلف عن كل بيئة مكونا منزعا خاص يؤدي إلى ظاهرة التخصص تتمثل في:

١) المنزع الحسي والحوار القصصي في شعر عمر بن أبي ربيعة الذي تفرد به، فلا نعرف شاعرا عربيا أمويا افتنَّ في الغزل الحس و الحوار القصصي افتنان عمر بن أبي ربيعة ، فقد قصر حياته الشعرية على هذا اللون وتخصص فيه، فأصبح بذلك ظاهرة فريدة ، وأصدق مثال للعصر والبيئة التي يعيش فيها.

٢) المنزع الغزلي السياسي الرمزي، عند عبيد الله بن قيس الرقيات ، الذي تفرد وبرع فيه، وأصبح ظاهرة ، فقد اتخذ من الغزل وسيلة من وسائل الخصومة السياسية معتمدا على الرمزية في المزج بين الغزل والسياسة وجعله وسيلة للنيل من بني أمية.

٣) المنزع النفسي عند جميل بثينة ومجنون ليلى في بادية الحجاز يمثل ظاهرة التخصص في الغزل العذري العفيف الذي يشع فيه عاطفة جياشة تستبد بهما فيبدو شعرهما أقرب إلى الحديث النفسي الذي يفيض بالانفعال والحرقة والشوق، فقد مزج الشاعران بين عمق إيمانهما و عمق عاطفتهما لذا أتى لنا هذا الغزل عفيفا طاهرا سمت فيه الروح فوق نوازع الجسد.

٤) المنزع الجمالي الوصفي عند ذي الرّمّة الذي يمثل تيارا فنيا وموضوعيا مميزا في الشعر الأموي، فقد الَّف بين موضوعين ارتبطا معا ووصل بهما إلى درجة التّوحد هما الطبيعة والحب، فإنه استطاع أن يستقطر في قصائد الحب ألوانا من العذوبة والصفاء والنقاء تنسجم مع صبوات العاشق ومعاناته، لذا تفرد بالغزل في الصحراء، فهو لا يصفها وصف الشاعر الذي يشاهد ويعجب بها ، وإنما يصفها وصف العاشق المحب الذي يندمج فيها ويفنى في جمالها فيمزج بين حب ميّه وعشقها وبين حب الصحراء وعشقها في ظاهرة تفرد بها.

وقد امتدت ظاهرة التخصص في الشعر في هذه البيئة إلى النقد الذي امتازت به بيئة الحجاز فساير الشعر في كل اتجاهاته وتحركاته، يتأثر به ويؤثر فيه، فالبيئة الحجازية التي نما فيها الشعر وخاصة الغزل و ازدهر هي نفس البيئة التي أخصب فيها النقد وارتقى ، فكان هناك علاقة وطيدة بن ظاهرة التخصص في شعر الغزل وبين وجود الناقد المتخصص في هذا اللون بالإضافة إلى ظاهرة المرأة الناقد التي تملك أدوات النقد والناقد ، مما تدل

على رقي في الذوق واتساع في الأفق و النظر، وهي ظاهرة تستحق الدراسة، كا تحاول الدراسة أن تكشف عن الظاهرة وتتبعها لدى الشعراء في هذه البيئة من خلال استنطاق النصوص وتحليلها للتعرف عل هذه الظاهرة.

وقد قسمت البحث إلى فصول ومباحث سبقتها مقدمة وتمهيد تناولت في :

***الفصل الأول: ظاهرة التخصص في " الشعر:**

*المبحث الأول: ظاهرة التخصص في الغزل في مدن الحجاز

المطلب الأول: ظاهرة التخصص في الغزل الحسي اللاهي والحوار القصصي عند عمر بن أبي ربيعة " المنزع الحسي والحوار القصصي".

المطلب الثاني: ظاهرة التخصص في الغزل السياسي عند عبيد الله بن قيس الرقيات " المنزع الغزلي السياسي الرمزي".

المبحث الثاني: ظاهرة التخصص في الغزل في بادية الحجاز

المطلب الأول: ظاهرة التخصص في الغزل العذري العفيف عند جميل بثينة ومجنون ليلى " المنزع النفسي"

المطلب الثاني: ظاهرة التخصص في الغزل في الصحراء عند ذي الرّمّة " المنزع الجمالي الوصفي"

***الفصل الثاني: ظاهرة التخصص في " النقد"**

المبحث الأول: الناقد المتخصص.

المبحث الثاني: المرأة الناقدة.

***الخاتمة.**

*الهوامش.

*المصادر والمراجع.

*الفهرس.

تم بحمد الله

الفصل الأول: ظاهرة التخصص في الشعر

المبحث الأول: ظاهرة التخصص في الغزل في مدن الحجاز

المطلب ١- ظاهرة التخصص في الغزل الحسي اللاهي والحوار القصصي عند عمر بن أبي ربيعة " **المنزع الحسي والحوار القصصي**".

المطلب ٢- ظاهرة التخصص في الغزل السياسي عند عبيد الله بن قيس الرقيات " **المنزع الغزلي السياسي الرمزي**".

المبحث الثاني: ظاهرة التخصص في الغزل في بادية الحجاز

المطلب الأول: ظاهرة التخصص في الغزل العذري العفيف عند جميل بثينة ومجنون ليلى" **المنزع النفسي**".

المطلب الثاني: ظاهرة التخصص في الغزل في الصحراء عند ذي الرّمّة" **المنزع الجمالي الوصفي**".

ظاهرة التخصص في الشعر والنقد في العصر الأموي" بيئة الحجاز"
-دراسة تحليلية نقدية-

تمهيد:

لم يكد الأمر يستقيم لبني أمية وتهدأ الأوضاع السياسة الثائرة التي أعقبت أحداث الفتنة الكبرى التي اطَّلعت رؤوسها البغيضة في أواخر خلافة عثمان ، ولم تكد تستقر الحياة الاجتماعية الجديدة التي كانت تتطور تطورا بعيد المدى، لتنتقل بالمجتمع العربي القديم إلى مجتمع إسلامي جديد، تشارك في بنائه وتطويره العناصر الأجنبية التي انضوت تحت لواء الإسلام ، حاملة معها حضاراتها وثقافاتها الموروثة، حتى أخذت الأرض الفنية تستقر تحت أقدام الطلائع المتقدمة من الشعراء الإسلاميين وأخذ نهر الشعر يتدفق من جديد في قوة و صخب سالكا:

أ- مجراه القديم تارة.

ب- ومنحرفا عنه إلى مسالك جديدة تارة أخرى.

فأخذت بيئات الشعر يتغير توزيعها الجغرافي عما كانت عليه في العصر الجاهلي نتيجة :

أ- اتساع رقعة الدولة، وامتداد أفاقها إلى ما وراء الجزيرة العربية.

ب- هجرة جماعات كبيرة من القبائل العربية إلى البلاد المفتوحة واستقرارها بها.

ج- انتقال حاضرة الخلافة من الحجاز إلى الشام.

كل هذا كان عاملا مؤثرا فعالا في الحياة العربية من شتى جوانبها، وتغير التوزيع الجغرافي لبيئات الشعر الأموي، واتسعت رقعته، فلم تعد محصورة

في داخل الجزيرة العربية، وإنما تجاوزتها إلى ما وراءها من الأقاليم التي فتحها المجاهدون العرب ، و أخضعوها لحكم الإسلام وظهر لأول مرة في تاريخ الشعر العربي ظاهرة " التخصص" ، فقد خصصت كل بيئة من هذه البيئات بلون معين ازدهرت بها، وتميزت به حتى أصبح هو اللون البارز في لوحة حياتها الفنية ، وإن لم يمنع هذا من ظهور الألوان الأخرى التقليدية بها.

*ومن العوامل التي أثرت في الشعر وساعدت على وجود ظاهرة التخصص في هذه البيئات:

١- أولا: ظهور الأحزاب السياسية التي كانت تحتاج إلى شعراء يؤيدونها و يدافعون عنها، كحزب بني أمية، وحزب الهاشميين " الشيعة"، وحزب الخوارج، وحزب الزبيريين.

أوجد لنا لونا من الشعر يسمى " بالشعر السياسي في بيئة العراق".

٢-ثانيا: عودة العصبية القبلية ، بعد أن خمدت في صدر الإسلام ، وخصوصا بين القبائل اليمنية القحطانية، التي كانت تناصر بني أمية ، وبين القبائل القيسية أو العدنانية ، والتي كانت تناصر آل البيت والزبيريين.

كما عمل الأمويون على إشعال العصبية القبلية، ليشغلوا الناس عن عيوب حكمهم، فأوجد لنا لونا من الشعر يسمى " شعر النقائض في بيئة العراق".

٣-ثالثا: التنافس بين الشعراء؛ لمحاولة التفوق و الإجادة حتى يحصلوا على جوائز الخلفاء والأمراء، أوجد لنا لونا من الشعر يسمى " شعر المديح في بيئة الشام".

والذي ساعد على وجود هذا اللون في هذه البيئة ، أنه ظهر " القصر" الأموي لأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية ، ومع ظهور " القصر الأموي" ظهر الشعراء الذين التفوا حوله يمدحون خلفاءه وأمراءه ؛ طلبا لعطاياهم وجوائزهم من كل أرجاء الدولة، وساعد ظهور الشعراء بكثرة لدى القصر الأموي : أن الخلفاء كانوا عربا يحسنون فهم الشعر و يتذوقونه ويطربون له، ويهتزون أريحية لسماعه، فوجد الشعراء تجاوبا منهم لما ينشدونهم منهم واعجاب ثم عطاء سخيّ، كما أن الدولة الأموية في حاجة إلى دعاية إعلانية ضخمة تحيط بها، لذلك فتح باب القصر الأموي لاستقبال الشعراء لمدحهم.

٤-رابعا: حياة الترف و الرخاء التي عاش فيها كثير من الشعراء في مدن الحجاز ، جعلهم ينصرفون إلى الغزل، ويكثرون من مجالس اللهو و الغناء، فأوجد لنا لونا من الشعر يسمى

" بالغزل اللاهي في بيئة الحجاز" .

-شخصية الحجاز وأثرها في الغزل:

للحجاز شخصية ممتعة ، قوية التأثير في حياة الفن العربي كله، وليس في الشعر وحده ولكن في الغناء أيضا، وفيما يتصل بالحياة العلمية ومقوماتها من هذين الفنين.

وكان هدف السياسة الأموية -تجاه المعارضة القوية في الحجاز- عزل هذا الإقليم عن شؤون الدولة وسياستها، ووقف النشاط السياسي في الحجاز ؛ لمكانة هذا الإقليم وتأثير أرائه، وميوله في سائر الأقطار الإسلامية، ولم يكن بوسع الأمويين دائما اتباع سياسة العنف في الحجاز؛ منعا لتفجر الموقف وازدياد خطورته؛ لأن سكانه هم الذين نهضوا بالدعوة ، وبذلوا للفتح.

كما عمد الأمويون إلى أساليب خاصة لتحقيق هذه العزلة، كان في مقدمتها:

أ- نقل عاصمة الخلافة إلى الشام، وبذلك ضمنوا تحويل النشاط الإداري عن مدن الحجاز بحيث بان إقليما عاديا ، فخسر مركز الزعامة الذي كان له أيام الراشدين.

ب- أحاط بنو أمية هذا الإقليم بجو من الدعة حين هيأ له أسباب اليسار والثروة، ووفروا فيه عوامل اللهو؛ ليكون الإغراق في النعيم تعويض عن وجاهة الزعامة بوجاهة الغنى والبذخ وتحول من حياة الجهاد إلى حياة الترف.

ج- كثرت الجواري ، وشاع الغناء، واتجه الشعر بذلك إلى الغزل.

د- عقد مجالس للغناء يتنادى إليها محبوه حتى من الفقهاء، ولم تكن هذه المجالس فقط للغناء، وإنما كانت أيضا مجالسا للأدب يهذب فيها الشعر وينقح ويرقق بما يتماشى و الذوق الموسيقي.

الفصل الأول: ظاهرة التخصص في الشعر

المبحث الأول: ظاهرة التخصص في الغزل في مدن الحجاز

المطلب الأول: ظاهرة التخصص في الغزل في الغزل الحسي اللاهي والحوار القصصي عند عمر بن أبي ربيعة " المنزع الحسي والحوار القصصي".

بيئة الحجاز أو بتعبير أدق بيئة (المدن الحجازية) وخاصة (مكة والمدينة)، فقد كانت أسرع بيئات الجزيرة العربية استجابة لعوامل التطور الحضاري، فقد تخصصت بلون من الغزل ازدهر بها وعرفت به، وهو " الغزل اللاهي" أو " الغزل الحضري ، أو الغزل الصريح".

*وكانت كل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها مدن الحجاز في هذا العصر تعمل عل ظهور هذا اللون من الغزل.

*فقد كانت الحياة الاجتماعية في هذه المدن تتطور تطورا حضاريا بعيد المدى ، فمنذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم أصبحت المدينة حاضرة الدولة الإسلامية الناشئة، وطوال عصر الراشدين إلى أن اتخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفة حاضرة للخلافة.

أ-ظل الحجاز مركزا للخلافة.

ب-وظلت غنائم الفتوح تتدفق على المجاهدين من الصحابة وأبنائهم المستقرين فيه.

حتى إذا قامت الدولة الأموية في الشام توجس " معاوية رضي الله عنه" خيفة من " أهل الحجاز" فمن بينهم كانت:

١) الأرستقراطية القرشية المستقرة في مكة منذ العصر الجاهلي.

٢) وبينهم كان جمهور صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم المستقرين في المدينة منذ الهجرة وأبناء الصحابة.

وكان معاوية رضي الله عنه يدرك مدى الخطر الذي يهدد دولته الناشئة من هؤلاء الذين لابد أنهم قد ضاقوا صدرا بانتقال " الخلافة" من بلادهم إلى الشام، وتحول الحجاز من مركز للخلافة ومستقر للدولة إل مجرد إقليم تابع لحكومة دمشق، وما ترتب على ذلك من آثار سياسية واجتماعية واقتصادية بعيدة المدى.

*كما رأى معاوية بدهائه وذكائه أن يغرق الحجاز بالأموال ؛ حتى يصرف أهله عن التفكير في السياسة، ويحول بينهم وبين المشاركة فيها.

*وانهالت الأموال على أهل الحجاز وتدفقت العطايا ملء أيديهم، ونجحت خطة معاوية في نثر الأموال عليهم؛ حتى يصرفهم عن الخلافة، فلم يعودوا يرون ما يدور حولهم في مدن الشام أو مدن العراق حيث استقرت المعارضة.

*ومع هذه الغنائم والأموال التي تتدفق على مدن الحجاز طوال عصر الفتوح، كانت تتدفق عليها أيضا أعداد ضخمة من الأسرى والسبايا حاملة معها حضاراتها الأجنبية، وتقاليدها الحضارية، ومثلها الخلقية، التي كانت تجد استجابة سريعة من شباب الحجاز العاطل والفارغ وعملت هذه العناصر الأجنبية على تحويل المجتمع الحجاز إلى مجتمع متحضر على حظ كبير من الحضارة والحرية الاجتماعية التي لم يكن يعرفها في عصره الجاهلي.

كما عملت على ارتفاع موجة عالية من الموسيقى والغناء حملتها معها هذه العناصر ووضعت أساسها " نظرية الغناء العربية"، وعمت الموجة كل مدن الحجاز الكبرى، ولمعت أسماء كثيرة من المغنين والمغنيات من أمثال : طُويس، ومعبد، وجميلة، وسلامة وحبابة في المدينة، وابن سُريج ، وابن مسجع والغريض، وأسماء في مكة المكرمة، وعرفت دور مخصصة للغناء يتوافد عليها شباب الحجاز للسماع والغزل كدار جميلة في المدينة.

" لم يكن الغناء والموسيقى شيئا مستحدثا عند العرب قبل ظهور الإسلام ؛ فقد كان لتردد أشرافهم على بلاد كسرى وقيصر أثر بعيد في حياتهم الاجتماعية، فنعموا بسماع الموسيقى والغناء، وكان لطبيعة بلادهم أثر واضح في تقدم فن الغناء، فقد كان حداة الإبل يغنون الرجز ؛ ليخففوا عن أنفسهم مشقة الطريق و وعورة السبيل، فلما ظهر الإسلام لم يغفل العرب أثر الصوت الجميل في تلاوة القرآن الكريم، وفي آذان الصلاة، فقد أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه طلب إلى بلال أن يؤذن للصلاة؛ لأنه كان ندي الصوت، واستمر الحال عل ذلك في عهد الخلفاء الراشدين الذين انصرفوا إلى الجهاد في سبيل الله ؛ إعلاءً لكلمة الإسلام، حتى تحولت الخلافة إلى الأمويين ، وانتشر شعراء الغزل في الحجاز من أمثال عمر بن أبي ربيعة، وقيس بن ذريح، وكثيّر عزة، وجميل بثينة، ومال الناس إلى أشعارهم وتغنوا بها"[١].

ومن أشهر المغنين في هذا العصر " طويس" مولى بني مخزوم، وكان لا يضرب بالعود ، وإنما كان ينقر بالدف، عالما بأنساب أهل المدينة، وهو أول من غنى بغناء يدخل في الإيقاع، وهو بناء ألحان الغناء على موقعها وميزانها " وكان أهل المدينة يؤثرون غناء طويس على كل غناء، وقد سمعهم ذات مرة وهم يشيدون بغنائه ، فاستخرج دفا ثم نقر به وغناهم بشعر عمارة بن الوليد المخزومي في خولة بنت ثابت عارضها بقصيدته فيها :

يا خليلي نابني سهدى* لم تَنَمْ عيني ولم تكدِ**

وهو:

تناهى فيكم وَجدي * وصدَّع حبكم كبدي**

فقلبي مُصْعَرٌ حزناً * بذات الخال في الخدِّ**

فما لاقى أخو عشقٍ * عُشَيْرَ العشر من جَهدِ**

فأقبل عليه ابن سُريج فقال:" والله هذا أحسن الناس غناءً" (٢).

لذلك كان النتاج الفكري في العصر الأموي في بيئة الحجاز يجري في تيارين مختلفي الطبيعة والتركيب، أشبه ما يكونان بالنقيضين لا يلتقيان في النفس الواحدة، وكان فيه الدين بقدسيته و وقاره يجري إلى جانب الفن بمرحه و انتشائه، ممثلا في الشعر والغناء (٣):

*" كان علماء الدين في الحجاز يقبلون على هذه الموسيقى ويحبونها، ويقفون دروسهم لسماعها، وكأنهم يرون في إدراك هذا الجمال ، وفي الاستمتاع به معنى من إدراك جمال الله، لا يتعارض مع الدين أي تعارض، هذا في الوقت الذي كان العراق فيه يتحرج من سماع الغناء وينكره" (٤).

فالمتعبد في الحجاز يستع صدره للغناء، وتستروح عينه لمجالس الجمال، ويجد في الاستمتاع بكل مباهج الحياة البريئة من حوله لذة بجانب لذته بعبادته وتقواه.

ومن صور هذا الخصب النفسي ما ذكره صاحب الأغاني (٥) عن زاهد من أوفر زهاد الحجاز هو عبد الله بن عمر :" قال عبد الله بن عمر العمري : خرجت حاجا فرأيت امرأة تتكلم بكلام أفحشت فيه، فأدنيت ناقتي ثم قلت لها: يا أمة الله ، ألست حاجَّةً؟ أما تخافين الله؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسنا ثم قالت: تأمل يا عم فإني من عناه العرجي بقوله:

أَماطَت كِساءَ الخَزِّ عَن حُرِّ وَجهِها*وَأَدنت عَلى الخدين بُرداً مُهَلهَلا**

مِنَ اللّائي لَم يَحجِجنَ يَبغينَ حِسبَةً* وَلَكِن لِيَقتُلنَ البَريءَ المُغَفَّلا**

قال : فقلت لها: فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار..... وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها: أغربي قبحك الله، ولكنه ظرف أهل الحجاز".

*وقد بين ووضح ابن جريج هذا الأمر عندما شاهد نظرة الاستنكار لاستماعه لابن تيزن المغني من جماعة من أهل العراق من بينهم عبد الله بن المبارك" فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال : لعلكم أنكرتم ما فعلت؟ فقالوا : إنا لننكره عندنا بالعراق، قال: فما تقولون في الرجز؟ يعني الحُداء، قالوا: لا بأس به عندنا، قال : فما الفرق بينه وبين الغناء" (٦).

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التطور البعيد المدى الذي أصاب المجتمع الحجازي ظهور طبقة أرستقراطية أتاح لها الغنى والفراغ والحضارة والوراثة حياة اجتماعية جديدة على حظ كبير من :

أ-الحرية ب- والتحضر جـ- والترف.

وهي حياة قامت على أمورها أعداد ضخمة من الرقيق الذي يزخر به هذا المجتمع منذ العصر الجاهلي، والذي كان يحيل الحياة حول هذه الطبقة فراغا لا حدود له، وهو فراغ لم يكن هناك بد من أن يشغل بأي شيء، فنجد أن طائفة من الشباب عنيت بالدرس الديني في المساجد فظهرت في مكة والمدينة مدرستان للقرآن والحديث والفقه والتشريع الإسلامي، والأدب والتاريخ، و لكن بقيت طوائف تريد اللهو والمتعة بالحياة، فلم تجد خيرا من " الغزل والحب" وسيلة للتسلية وشغل أوقات الفراغ، وهي وسيلة هيأ لها فرص النجاح ما كانت تتمتع به" المرأة الحجازية" في هذا العصر من حرية اجتماعية لم تكن متاحة لها من قبل، وما كان منتشرا في مدن الحجاز من مجالس " الغناء" الذي أصبح فتنة الفتن بين أبنائها على مختلف مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وفي ظل هذه الحياة الجديدة ازدهر شعر " الغزل اللاهي" أو " الغزل الصريح" أو كما سميت هذه الحركة بـ" الحضرية"؛ لأنها

نشأت في حواضر الحجاز وسميت بـــ " الإباحية "؛ لأن شعراءها لم يتورعوا عن وصف المحاسن الجسدية ، وذكر ملذات اللقاء.

ويسمى الدكتور طه حسين شعراء هذه الحركة بـ" المحققين " وأوضح سبب هذه التسمية بقوله:" وقد رأينا أن عمر لم يكن عذريا، ولم يكن يريد أن يذهب مذهب العذريين ، وإنما كان عمليا محققا يلتمس الحب في الأرض لا في السماء" (٧).

وفي هذه البيئة قلَّ شعر " الهجاء" قلة شديدة، كما أن شعر " المدح" لم يعد اللون الصارخ في الشعر؛ لان أكثر الحجازيين لم يكونوا في حاجة إلى التكسب بشعرهم، إنما اللون الذي يستنفدهم هو " الغزل" وهو لون يتلاءم مع رقة الحس، ورقة الشعور وأيضا فإنه يتلاءم مع الغناء الجديد.

ومن هنا كان أكثر الشعراء في الحجاز لهذا العصر شعراء" حب وغزل" على نحو ما نعرف عن عمر بن أبي ربيعة، والعرجي، وابن قيس الرقيات في مكة ، والأحوص في المدينة، ويزيد بن الطثرية وغيرهم.

*فقد ذهب شعرهم جميعا في التغني بقصة الحب وأحداثه و وقائعه، ولمع بينهم ثلاثة استطاعوا أن ينهضوا بهذا الفن نهضة رائعة ، وأن يعبروا عن حياة مجتمعهم الجديد بكل ما تنطوي عليه من حضارة وترف، وفراغ ولهو، و مرح وتفاؤل، واقبال على الحياة وهم:

١- عمر بن أبي ربيعة ٢-الأحوص ٣- العرجي.

ومن بين الثلاثة يبرز عمر على أنه أهم شاعر استطاع أن يعبر عن هذا اللون من الحب الذي يصح أن نطلق عليه" الحب على الطريقة الحجازية".

" والواقع أن عمر بن أبي ربيعة قد طلع على الحجاز بفن شعري تغلب عليه سيماء الحضارة ويتسم بالجدة في كل شيء، فهو جديد في اتجاهه وروحه، جديد في رقة معانيه، ودماثة ألفاظه، جديد في أسلوبه الحواري الشيق، وصوره المرحة المبهجة، لقد وقف عمر شعره على الحب والغزل ولم يتجاوزه إلى غرض آخر" (٨).

وعمر بن أبي ربيعة أول من حمل لواء هذا الشعر في الحجاز، ويعد رائدا لهذا الفن الشعري؛ لأنه أفرد شعره كله على الغزل.

ويرى نجيب البهبيتي (٩) أن الجديد في هذا العصر يكمن في "هذا الشعر الغزلي الذي سمي من أجله هذا العصر كله " بالعصر العاطفي".

وقد أرجع السبب في ذلك إلى:

١-أنه لم يعرف في الشعر القديم شاعرا وقف شعره كله على الغزل، وتفرغ للقول فيه حياته كما هو الأمر في غزل هذا العصر.

٢-أن الغزل الجاهلي في القصائد الباقية لنا كان يجري كما قال مجرى رمزيا في حين يجري غزل العصر العاطفي مجرى تحقيقيا معتمدا على المكابدة و الإحساس، وإن كان منه ما اعتمد على التقليد و المحاكاة، ولكن هذا أقله.

وعندما نضع مقارنة بين الغزل الحسي اللاهي الصريح في العصر الأموي وبين الغزل الحسي اللاهي عند امرئ القيس والأعشى والنابغة نجد أن:

١-الغزل الجاهلي كان يأتي إما في ثنايا القصيدة مع موضوعات أخرى أو يأتي به الشاعر في أول القصيدة؛ ليكون وسيلة أو مقدمة لغيره من فنون الشعر الأخرى كالفخر ، والوصف، وغير ذلك.

ونستطيع أن نرى في مقدمة الأعشى مثلا قويا للمقدمات الغزلية التي تصور الحبيبة من زاوية النظر الحسية حيث يقول: (١٠)

ودّعْ هريرةَ إنْ الركبَ مرتحلُ ** وهلْ تطيقُ وداعاً أيها الرّجلُ**

غَرّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُها * تَمشِي الهُوَينى كما يَمشِي الوَجي الوَحِلُ**

كَأنّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جارَتِهَا ** مرّ السّحابةِ ، لا ريثٌ ولا عجلُ**

أما الغزل في العصر الأموي فقد وجدناه موضوعا مستقلا يُفردُ له الشعراء القصائد الكاملة بل يتخصصون فيه تخصصا دقيقا، فلا يكادون يتجاوزونه إلى موضوع آخر، ولعل خير مثال لذلك ديون عمر بن أبي ربيعة ، وشعر الحارث بن خالد المخزومي(١١).

قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى:(١٢)

يا مَن لِقَلبٍ مُتَيَّمٍ كَلِفٍ * يَهذي بِخَودٍ مَريضَةِ النَظَرِ (١٢)**

تَمشي الهُوَينى إذا مَشَت فُضُلاً* وَهيَ كَمِثلِ العُسلوجِ في الشَجَرِ(١٣)**

أبصَرتُها لَيلَةً وَنِسوَتِها * يَمشينَ بَينَ المَقامِ وَالحَجَرِ**

ما إن طمعنا بها ولا طمعتْ * حتى التقينا ليلاً على قَدَرِ**

بيضاً حِساناً خَرائِداً قُطُفاً * يَمشينَ هَوناً كَمِشيَةِ البَقَرِ**

٢- وفي الغزل الجاهلي قلما عبر الشاعر عن عاطفته تعبيرا مباشرا إذ كان غزله في جملته وصفا لمحاسن المرأة التي يتغزل بها، أما شعراء الغزل الحجازي فإنهم لم يقتصروا على الناحية المادية في المرأة، بل تحدثوا أيضا

عن عاطفتهم حديثا مباشرا، ويظهر من شعرهم أنهم عرفوا الحب و تذوقوه، وأدركوا مواضع الفتنة في المرأة إدراك المنفعل لا إدراك المقلد المحاكي [١٤].

٣- كما أن هناك فرق آخر بينهما يتمثل في خلو الغزل الحجازي اللاهي من المجاهرة بالفحش والصراحة في وصف العلاقة بين الرجل والمرأة ،كما في شعر امرئ القيس من مجاهرة بالفحش وكذلك شعر الأعشى.

وهنا نتساءل ما العوامل التي ساعدت على ازدهارا " الغزل الصريح اللاهي" في العصر الأموي؟

فنجد أنها:

١-حياة الترف والرخاء التي انغمس فيها الشباب وعاش فيها الشعراء.

٢-شيوع الغناء في مدن الحجاز وإقبال الناس على مجالسه.

٣-انصراف كثير من شعراء الحجاز عن المشاركة في السياسة منذ أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى الشام، مما حملهم عل التفرغ لشعر الغزل والاهتمام به، ويمثل هذا النوع" عمر بن أبي ربيعة".

*عمر بن أبي ربيعة خير من وصف المرأة وصف من عرفها، وأدرك مواضع الفتنة منها إدراك المنفعل لا إدراك المقلد المحاكي.

فقد وصف حركاتها وسكناتها وتلك النزعات التي تجري بنفسها، وتدفعها على فعل ما تفعل، فهو كالرسام الصادق الذي يجد كل إنسان في فنه المعنى المحبب إلى نفسه.

لقد وقف عمر شعره على الحب والغزل ولم يتجاوزه إلى غرض آخر " سأله سليمان بن عبد الملك: ما يمنعك من مدحنا؟ فقال عمر: إني لا أمدح الرجال! إنما أمدح النساء" (١٥).

وقد فُتن المجتمع الحجازي على اختلاف طبقاته بهذا اللون الجديد من الغزل ؛ لأنه محترفا للغزل، مُغرما بمتابعة النساء بغية اللهو وصرف الوقت والسمر، وقد قال الدكتور طه حسين " كان كل شيء في حياة عمر وسيلة للاتصال بالمرأة وذِكرها والتحدث إليها، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن عمر من هذه الناحية كان أعظم سمير عرفته المرأة في تاريخ العرب، ولسنا نعرف رجلا من رجال العرب على الاطلاق روى له الرواة قصصا وأخبارا لعب فيها الحديث والسمر هذا الدور الذي لعباه في أخبار عمر، ولسنا نعرف شعرا لشاعر عربي افتنَّ فيه بوصفه لحديثه للمرأة وحديثها إليه وإلى رفيقاتها افتنان عمر بوصفه لهذه الأمور في شعره"(١٦).

وقد فتن بشعر عمر بن أبي ربيعة أيضا أهل الحجاز ولا يطربون إلا لشعره.

قال أبو نافع الأسود: "إذا أعجزك أن تطرب القرشي فغنه غناء ابن سريح في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنك ترقصه" (١٧).

–لذلك كله أعجب الناس في المدن بشعر ابن أبي ربيعة وتغنوا به .

وقد تضافرت عوامل هامة لشاعرية عمر بن أبي ربيعة ساعدت على نبوغه في شعر الغزل اللاهي الصريح وتخصصه في هذا اللون دون غيره .

<u>من أهم العوامل التي أثرت في شاعريته:</u>

١– ميله الفطري للحديث عن النساء والتغزل بهن.

فقد ولد عمر في بيت لا تنقصه السيادة والشرف ولا يعوزه المال، وهذا ما نأى به عن مدح الرجال والأمراء والخلفاء، يقول ياقوت الحموي في حديثه عن عمر:" كان كثير المخاطبة للنساء"[١٨].

وقد عملت على تربيته أمه، فنشأ مرفها بين الجواري، والفتيات لا يحجبه منهم حجاب ، مما ساعده على معرفة نفسية المرأة ،وعواطفها، ومشاعرها، وهواجسها، وانفعالاتها، وميلها إلى الحب والغرام.

٢- نشأته نشأة ترف، ولهو، وفراغ، مما شغله عن السياسة والجهاد.

٣- كانت أسرته من أغنى أسر قريش ، وأوسعها تجارة، وأعلاها شرفا، فنشأ مترفا ماجنا، يؤثر رغد العيش ، مغرما بوصف النساء ، والتحدث عنهن.

كان وسيما بهيَّ الطلعة، نشأ في أحضان أمه، وعاش في شبابه تحت رعايتها، فأتيح له الاختلاط بالنساء والجواري من دون تحرج.

وفي هذا الجانب عاش عمر ونعم بما نعم به شباب عصره المترفون، وكان جماله وتأنقه وتدفق ينبوع الشعر على لسانه من الأسباب التي ساهمت في انغماسه الشديد في اللهو والمجون بعيدا عن الأحزاب السياسية وخصوماتها، لقد شبّ عمر على ترف ولهو ، فانطلق مع الحياة التي تنفتح رحبة أمام أمثاله ممن رزقوا الشباب والثروة والفراغ، فعرف مجالس الطرب والغناء وينشد الحسن في وجوه الملاح، فرأى في موسم الحج معرض جمال وفتون.

وجاء في الأغاني [١٩]:" أن عمر كان يقدم فيعتمر في ذي القعدة، ويحل ويلبس تلك الحلل والوشي، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع

والديباج، ويُسبل لمَّته، ويلقي العراقيات فيما بينه وبين "ذات عرق" مُحْرِمات ويتلقى المدنيات إلى "مر" ويتلقى الشاميات إلى " الكُديد".

ويعترف عمر نفسه في قوله :

صرمت وواصلت حتى عَلِمـــ * تُ أين المصَادرُ والموردُ**

وجرَّبت من ذاك حتى عَرَفْـــ * تُ ما أتوقَّى وما أحمدُ**

لقد أصبحت هذه المواسم لعمر وغيره من شعراء الحجاز فرصة للهو ، فإذا حج الناس يبغون احتسابا حج عمر طلبا للهو.

لذلك يصرخ من أعماقه قائلا:(٢٠)

أيها الرائحُ المجدُّ ابتكارا **قد قضى من تهامة الأوطارا

من يكن قلبه صحيحا سليما ففؤادي بالخيف أمسى مُعارا**

ليت ذا الحج كان حتما علينا ** كل شهرين حجة واعتمارا

يتألم عمر بن أبي ربيعة لفراق الجميلات وتستعر في قلبه لوعة الفراق ، ويتمنى لو استمر العام كله حجا وعمرة؛ ليتصفح وجوه الجميلات ويقابل الأحبة.

٣-تشجيع بنو أمية له، وإعجاب الشباب والقيان به

لقد أعجب به الشباب والمغنون والمغنيات، فشجعه ذلك على الاسترسال في نظمه للشعر المناسب للغناء، فقد أدرك الصلة بين الشعر والغناء ، فقد كانت له في منزله مغنيتان تتغنيان بشعره هما: بغوم وأسماء.

" مرت جارية بعبد الله بن مصعب وهو بفناء منزله، ومعها دفتر فقال :" ويحك تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة إن لشعره لموقعا من القلوب، ومدخلا لطيفا، لو كان سحر يسحر لكان هو ، فارجعي "[٢١].

فشعر عمر يسحر ويؤثر، ثم إن فقهاء الحجاز كانوا يجيزونه، وفقهاء المدينة كانوا يستحسنونه وجد ابن أبي ربيعة التشجيع من الكل ليس فقط من الشباب والقيان ، ولكن كل من سمع شعر عمر تأثر به.

وبهذا يكون عمر أشهر جمالي في عصر صدر الإسلام، والعصر الأموي، فقد دار في فلك الجمال البشري الذي يفوح من ذات المرأة، وكان صادقا كل الصدق حين قصر همَّه الجمالي على الحواس، دون النظر إلى ما هو أبعد من ذلك.

وبرزت خصوصية عمر بن أبي ربيعة في الغزل اللاهي الصريح كظاهرة من أهم الظواهر في الشعر في ولعه بالجمال وحسن وصفه للمرأة، وتفرده بهذا الغزل القصصي الذي يعتمد على الحوار ، فقد بنى غزله على هذه الأسس الجمالية، فقال عن نفسه وعن ولعه بالجمال:

إنّني امرئٌ مُولع بالحُسن أتْبعهُ * لا حظَّ لي فيه إلا لذَّة النظر**

كما برع في وصف حسن المرأة عندما يقول :[٢٢]

غادَةٌ تَفتَرُّ عَن أَشنَبِها*حينَ تَجلوهُ أَقاحٍ أَو بَرَد**

وَلَها عَينانِ في طَرفَيهِما* حَوَرٌ مِنها وَفي الجيدِ غَيَد**

ويتضح في الكثير من شعره فديوان عمر بن أبي ربيعة ديوان ضخم، وهذه أول مرة نجد فيها شاعرا عربيا ينظم ديوانا كاملا في الغزل، فخالف بذلك شعراء عصره، وقد بلغت القصائد والمقطوعات فيها ٣٣٥ قطعة، ونرى فيه

الوصف البارع، و التشبيه الدقيق، وحسن الأداء، معبرا عن ذاته بحرية مطلقة، فغزل عمر بن أبي ربيعة امتاز بالصدق الفني في رسم لوحة الجمال وإخلاص في التعبير عن الحب والشوق ، والصبابة.

***ظاهرة الحوار القصصي في شعر عمر بن أبي ربيعة:**

تأثر عمر بن أبي ربيعة بسلفه امرؤ القيس الذي سنَّ طريقة التحدث إلى النساء، والحكاية عنهن، ورسم المغامرات ، إلا أنه مال إلى حب الذات الذي يعبر عن النرجسية إذ يكون الشاعر محور عناية المرأة لا العكس.

وقد أورد الشاعر اسمه في ديوانه في أكثر من موضع ، ومما قاله [٢٣] في ذلك على لسان إحداهن:

قالت الكبرى أتعرفن الفتى ** قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيَّمْتها ** قد عرفناه وهل يخفى القمر

فعمر هو المتبوع لا التابع، وهو المطلوب لا الطالب، وهو المعشوق لا العاشق، فالنساء يُفتن به، ويتصيدن له، وينتهزن كل فرصة للقائه ، وهو في كل ذلك لا يُعْنى ولا يلتفت دلالا وتيها، وإعجابا بنفسه وبجماله، وقال[٢٤]:

وإنها حلفت بالله جاهدةً وما أهلَّ له الحجاج واعتمروا**

ما وافق النفس من شيء تُسرُّ به وأعجَبَ العين إلا فوقهُ عمرُ**

فعمر يصور المرأة متهالكة عليه ، تتضرع إليه، و تستعطفه عندما يقول: [٢٥]

قالت تصدي له ليُبصرنا ** ثُمَّ اغمِزِيه يا أختُ في خفرِ

قالت لها قد غمزتهُ فأبَى ** ثم أسبطرت تسعى على أثري

فعمر يستغل موسم الحج للتعرض للنساء الجميلات ، إذ يعتمر ويلبس الحلل والوشي ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع و الديباج ويلقى الحاجَّات فيتعرف إليهن ويرافقهن ويتشبب بهن ويروي طرفا من مواقفه معهن عندما يقول : (٢٦)

قف بالطواف ترى الغزال المحرما حج الحجيج وعاد يقصد زمزما**

عند الطواف رأيتها متلثمة للركن والحجر المعظم تلثما**

أقسمت بالبيت العتيق لتخبري ما الاسم قالت من سلالة آدما**

الاسم سلمى والمنازل مكة والدار ما بين الحجون و غيلما**

قلت عديني موعدا أحظى به أقضي به ما قد قضاه المحرما**

فتبسمت خجلا وقالت يا فتى أفسدت حجك يا مُحل المحرمّا**

فتحرك الركن اليماني خشية ** و بكا الحطيم وجاوبته زمزما

لو أن بيت الله كلم عاشقا من قبل هذا كاد أن يتكلما**

ويتبين لنا في النص الحوار القصصي الذي دار بين عمر بن أبي ربيعة وهذه المرأة في البيت العتيق، فقد جعل هذا الحوار بسط في القول، وحلاوة ولباقة وبلاغة لم تجتمع لغيره فالبناء القصصي عنده يبنى على الاستخبار والدقة الواقعية، فالنساء يظهرن في هذا الفن بأخلاقهن وحركاتهن، فشعره يرويه على هيئة قصة، فالحوار القصصي في النص جعل الشاعر أسير هذا الفن الذي يصور واقعه، ويسجل فيها بداوته ومغامراته، كما يفعل من يدون مذكراته اليومية مصورا ما جرى معه من حوادث وأخبار.

*فالحوار القصصي هو العنصر البارز الذي يطغى على العناصر الأخرى التي يمكن أن تتوافر في القصة ، فعمر شاعر الذكرى والأحاديث، ويتميز شعره في الغزل بالجدل والحوار الجميل بينه وبين النساء فقد أحسن الشاعر في استخدامه التسلسل في الأحداث التي جرت بينه وبين المرأة وتحديد الأماكن، فنجد أسماء غير قليلة للأماكن تدل على معرفة وثقافة، فالمكان عنده لم يكن يعني غير ارتباطه بزمن وموعد يتم فيه اللقاء.

ولكن المميز في شعر عمر ذكر بعض الأماكن المقدسة في شعر الغزل، وهذا يدل على ثقافة ومعرفته بالأماكن، فقد التزم الشاعر بالحقيقة الفنية مما جعل شعره مقبولا لدى المتلقي ، كما التزم بالحقيقة التاريخية فلا نجده يخطئ في الأنساب، أو في تحديد الأماكن الجغرافية كما في النص السابق.

لقد اهتم بجانب واحد من الحياة هو الجانب الجمالي، وأن هذه النظرة قد أثرت على أدواته الفنية ودفعته إلى عالم الرقة، وعالم المبالغة في الاستحسان.

*فعمر هنا يقص علينا أحداث مغامرة قام بها ليلتقي بمجموعة من الفتيات الحسان عندما يروي القصة عن نفسه فيقول:

" بينما أنا منذ أعوام جالس إذا أتاني خالد الخريت فقال لي: يا أبا الخطاب مرت بي أربع نسوة قبيل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم ير مثلهن في بدو ولا حضر، فيهن هند بنت الحارث المرية فهل لك أن تأتيهن متنكرا فتسمع من حديثهن، وتتمتع بالنظر إليهن، ولا يعلمن من أنت ، فقلت: ويحك! وكيف لي أن أخفي نفسي؟ قال : تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قعود، ثم ائتهن فسلم عليهن فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن، ففعلت ما قال وجلست على قعود، ثم أتيتهن فسلمت عليهن، ثم وقفت بقربهن، فسألنني أن

أنشدهن وأحدثهن فأنشدتهن لكثير وجميل والأحوص ونصيب وغيرهم، فقلن لي" ويحك يا أعرابي ما أملحك و أظرفك لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا ، فإذا أمسيت انصرفت في حفظ الله فأنخت بعيري، ثم تحدثت معهن و أنشدتهن، فسررن بي وجلسن بقربي، وأعجبهن حديثي.... قال: ثم إنهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض: كأنا نعرف هذا الأعرابي ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ، فقالت إحداهن: هو والله عمر! فمدت هند يدها فانتزعت عمامتي عن رأسي ثم قالت لي: هيه يا عمر! أتراك خدعتنا منذ اليوم؟ بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد فأرسلناه إليك لتأتينا في أسوأ هيئة ونحن كما ترى، قال عمر: ثم أخذنا في الحديث وحادثتهن ساعة ثم ودعتن وانصرفت" (٢٧).

وهنا يقص علينا أحداث المغامرة فيقول: (٢٨)

ألم تسأل الأطلال و المُتَرَبِّعا ** ببطن حُليَّاتٍ دَوَرِسَ بَلْقَعا؟

فَيَخلْن أو يُخبرن بالعِلم بعدما ** نكأنَ فؤادًا كان قِدْمًا مُفَجَّعا

بهندٍ وأترابٍ لهند إذ الهوى ** جميعٌ وإذ لم نخشَ أن يتصدَّعا

وإذ لا نُطيع العاذلين ولا نرى ** لواشٍ يطلبُ الصَّرْم مطمعًا

قلب الشاعر مفعم بالحب تهيج ذكرياته بين الأطلال التي يسألها على عادة الشعراء القدامى تعبيره يوحي بشدة الشوق، يدل على ذلك تلهفه على جواب الاطلال وخوفه من بخلهن بالجواب، وقد تخبره بما علمت فتثير الذكريات وتعيد جراح القلب الذي أصيب من قبل بحب هند ومثيلاتها أيام كان الحب يرفرف على الجميع، وحبل الوصل ممدود لا يخشى انقطاعه، ولا يسمع لكلام اللائمين، ووشيان الواشين، الذين هدفهم إفساد وقطع العلاقة.

تكرار اسم " هند" في النص يوحي بشدة تعلقه بها، ولكن ذكر " أترابها" يدل على أنه عابث ماجن ، وغير مخلص في محبته؛ لأنه يحب هند وأترابها ، وهذا يدل أنه لا يريد من ذلك إلا المتعة ومجالسة الفتيات قصدًا للتسلية.

تنوعتنَ حتى عاودَ القلبَ سقمهُ **وَحَتَّى تَذَكَّرْتُ الحَدِيثَ المودَّعا**

فَقُلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ: وَيحك! إنَّما **ضَرَرتَ فَهَلْ تَسطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا**

وَهَيَّجْتَ قَلْباً كَانَ قَدْ وَدَّعَ الصِّبا **وَأَشْيَاعَهُ فَاشْفعْ عَسَى أَنْ تُشَفَّعا**

لَئِنْ كَانَ ما قد قلت حَقّاً فَمَا أَرَى **كَمِثْلِ الأُلَى أَطْرَيْتَ في النَّاسِ أَرْبَعا**

فقال: تعالَ انظرْ، فقلتُ: وكيفَ لي؟ **أَخَافُ مَقاماً أَنْ يَشيعَ فَيَشْنُعَا**

فَقَالَ: اكْتَفِلْ ثُمَّ الْتَثِمْ وَأْتِ باغِياً **فَسَلِّمْ وَلاَ تُكْثِرْ بِأَنْ تَتَوَرَّعا**

فَإِنِّي سأُخْفِي العَيْن عَنْكَ فَلاَ تُرَى **مخافةَ أن يفشو الحديثُ، فيسمعا**

ينتقل الشاعر في هذا المقطع إلى بداية القصة العاطفية التي هي هدف النص فيقول : لقد عاد الحب إلى قلبي بعد أن كان قد برئ منه، وذلك بسبب الوصف المشوق لجمال الفتيات ثم قال لصديقه الذي وصفهن: لقد هيجت الذكريات وشوقت قلبي، فليتك تستطيع أن تنفعني بتمهيد وسيلة للقاء معهن، فإن الفتيات الأربع اللاتي وصفتهن بهذا الحسن الرائع لا أدري لهن مثيلا بين الحسان، فعندما رآني متلهفا على لقائهن دبر لي وسيلة ملائمة بحيث لا ينكشف الأمر، وذلك بأن أتنكر في زي أعرابي ملثم، وأقترب منهن، وأحييهن متظاهرا بالاحتشام؛ حتى يأنسن لي ويقوم صاحبي بمراقبة الطريق؛ حتى لا يعلم أحد بقصة ذلك اللقاء.

فالحوار بين الشاعر وصاحبه همسات نجوى وتحليل للخواطر والمشاعر النفسية، وهذا ملائم لأسلوب الشعر القصصي الذي ينساب في سهولة ورقة، معتمدا على الألفاظ الموحية والعبارات الموجزة مثل: " تنوعتن" أي وصفن لي فهذا التعبير المختصر يوحي بأوصاف كثيرة ذكرها صاحبه، ولفظ " عاود" يوحي بأن الشاعر كثير الهوى، فيستمر الحوار في هذا النص في سلاسة ويسر لينقلنا إلى جو الموقف الذي دار فيه اللقاء عندما يقول:

فَأَقْبَلْتُ أَهْوِي مِثْلَ ما قالَ صاحِبي **لِمَوْعِدِهِ أَزْجِي قَعُوداً مُوَقَّعا**

فلما تفاوضنا، الحديث و أسفرت ** وُجُوهٌ زَهاها الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعا

تَبَا لَهُنَ بِلْعِرْفَانَ لَمّا عرفننيوقلنَ: امرؤ باغٍ أكلّ وأوضعا!**

فلما تنازعنَ الأحاديثَ، قلنَ لي أَخِفْتَ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ وَنُخدَعا؟**

فَبالأَمْسِ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِداً إِلَيْكَ وَبَيَّنَّا لَهُ الشَّأْنَ أَجْمَعَا**

فما جئتنا إلا على وفقِ موعدٍ * على ملإٍ منا خرجنا له معا**

رَأَيْنَا خلاءً مِنْ عُيونٍ وَمَجْلِساً* دميثَ الربى ، سهلَ المحلةِ ، ممرعا**

وقلنا : كريم نال وصلَ كرائم* فحقَّ له في اليومِ أن يتمتعا**

يكاد هذا النص أو المقطع أن يخلو من الصور الخيالية؛ لاعتماده على الحوار السريع والأحاديث العذبة التي ترسم جو اللقاء بما فيها من إيحاء ، فألفاظ النص معبرة عن الحركة

السريعة في الذهاب إليهن ومعهن مثل قوله:" أقبلت أهوى ، أزج، قعودا موقعا، تفاوضنا تنازعنا الأحاديث..." فكلها تدل على سرعة الحركة في النص، مما يدل على توالي الأحداث التي يريد أن يبينها الشاعر، ويجعلك

تشعر وتحس بها من خلال هذا اللقاء بينه وبين هؤلاء النسوة، والشاعر مع ذلك خبير بأساليب النساء يدل على ذلك قوله:" تبا لهن بالعرفان".

كما أنه عليم بطبيعة المرأة في الإعلان عن مفاتنها والتباهي بحسنها وذلك عندما يقول:" أسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنبعا".

لقد فاق عمر سائر الشعراء في قدرته على الحوار القصصي الذي يحتاج إلى مهارة وبراعة في سياق العبارات، فقد سلك الشاعر في النص السابق الأسلوب القصصي الذي يعبر عن أفكاره مما جعلها شائقة جميلة، ونستطيع أن نجد فيها عناصر القصة القصيرة وخصائصها في هذا النص ففيها:

١- البيئة المكانية : واد خصب جميل المنظر فخضر الربا.

٢- و البيئة الزمانية: يوم لطيف الجو معتدل الهواء.

٣- الأشخاص: وهم: الشاعر، وصاحبه خالد، وأربع فتيات.

٤- الحكاية: تتجلى في سرد الأحداث من سؤال الأطلال، وأحاديث تهيج الذكريات ووصف صاحبه لمحاسن الفتيات، وتدبيره للقائهن وقضاء يوم ممتع معهن.

٥- العقدة: ولها جانبان:

أ-فالشاعر يحتال متنكرا في زي أعرابي حتى يصل إليهن.

ب-وهن يرسلن خالدا إليه يبعث فيه الشوق إلى اللقاء.

وقد حلت العقدة بتحقيق هدف كل من الطرفين و مفاجئتهن له بحقيقة تدبيرهن.

الصور قليلة في النص وقد استغنى عنها الشاعر بالحوار السريع المشوق ، كما أن الألفاظ فيها عذوبة وسلاسة تلائم الغزل القصصي، فعمر بن أبي ربيعة كان شاعرا بارع الخيال اجتمع له الشباب والفراغ والغنى فمال إلى اللهو والغزل، فهو حضري رقيق يجيد محادثة النساء، ويعرف طباعهن، كما يشير البيت الأخير إلى سمو العلاقة بينه وبينهن عندما يقول:" كريم نال وصل كرائم".

إذن أهم ما يميز هذا الشعر الغزلي الحصري اللاهي عند ابن أبي ربيعة:

١ –طابع الحوار القصصي:

فطابع الحوار القصصي ميزة شديدة البروز في شعر عمر بعامة، فقصصه الشعرية محكمة الحبك، دون افتعال أو تكلف ، فقد استطاع أن يسرد الأحداث بما فيها من لقاء أو وصال، مجددا زمانها ومكانها، والشخصيات التي قامت بها بأسلوب حواري قصصي قلما استطاع شاعر غير عمر أن ينسج حواشيه بهذه البراعة والقدرة، فلم يكن عمر يتحدث عن النساء كما تعود الشعراء يتحدثون عنهن وإنما كان يتحدث عن نفسه ، ويقص ما وقع له معهن، فكانت قصيدته قصة غرامية قصيرة ، تعتمد عل طابع الحوار الذي تنتقل فيه أذن القارئ من حوار إلى آخر، ومن رجل إلى امرأة، ومن المرأة إلى الرجل .

"ولقد أذكر إذا قلتُ لها ودموعي فوق خدِّ تطَّرِدْ**

قلت : من أنت؟ فقالت: أنا من شقّهُ الوجدُ وأبلاه الكمد"** (٢٩)

٢-الاستعلاء:

"حيث يبدو الشاعر مستعليا على النساء ، مؤمرا عليهن، فلا تظهر عليه ذلة الحب، ولا تبدو عليه معاني الخضوع "(٣٠).

كان عمر بن أبي ربيعة على جانب من الإعجاب بنفسه، وفي العديد من قصائده يصور نفسه معشوقا لا عاشقا، والنساء يتهافتن عليه ، ويتنافسن في طلبه.

قال عمر بن أبي ربيعة: (٣١)

فقالت وقد لانتْ وأفرَخَ رَوْعُها * كلاكَ بحفظٍ ربك المتكبِّرُ**

فأنت أبا الخطَّابِ غيرُ مُدافَعٍ* عليَّ أميرٌ ما مكثْتَ مُؤَمَّرٌ**

وقد أورد الشاعر اسمه في ديوانه في أكثر من موضع، مما يدل عل إعجابه و نرجسيته وحبه لذاته مما يجعله مستعليا على النساء في شعره ، ومما قاله في ذلك على لسان إحداهن: (٣٢)

وأنها حلفت بالله جاهدة* وما أهلَّ لهُ الحجَّاج واعتمروا**

ما وافق النفسَ من شيءٍ تُسَرُّ به* و أعجب العينَ؛ إلا فوقه عُمَرُ**

وفي موضع آخر قال أبيات نالت شهرة واسعة ، وقد ذكر اسمه على لسان احدى الفتيات:(٣٣)

بينما يَذكرْنني أبصَرنَني* دون قيدْ المِيل يَعدُو بي الأغرْ**

قلن: تعرفن الفتى؟ قلن: نعم* قد عرفناه وهل يخفى القمر**

٣-إنعكاس الأدوار:

" فإذا الشاعر منية النساء وبغيتهن، وهو المتبوع لا التابع، وهو المعشوق لا العاشق، وإذا النساء هن اللواتي يغازلنه ويتصيدن له " [٣٤].

قال عمر بن أبي ربيعة: [٣٥]

قالت لتِرْب لها ملاطفةً* لتفسدنَّ الطوَّاف في عُمرِ**

قالت تصدِّي له ليبصرنا* ثم اغمزيه يا أُختِ في خَفَرِ**

قالت لها: قد غمزتهُ فأبَى * ثم اسبطرتْ تَسْعَى على أثرِي**

٤-الآنية والتجدد:

أي " أن العاطفة عند عمر بن أبي ربيعة رهينة الظروف والأحداث وتقلبات الزمن، إنها عاطفة تلامس جدار القلب ، ولا تنفذ إلى الأعماق، وهي وإن بدت قوية ملتهبة، فسرعان ما تبرد، وتخمد نارها بفعل التنقل بين النساء، والسعي الدائب إلى المغامرة، وما أكثر ما يصف عمر نفسه على لسان صاحباته بأنه طَرِفٌ ملول"[٣٦].

وقد ظهر ذلك في قوله عمر بن أبي ربيعة:[٣٧]

متنقلا ذا ملَّةٍ طَرِفًا * لا يستقيمُ لواصلٍ أبدا**

ولعل أبرز ما يدل على التجدد والتنقل من حب إلى حب قول عمر:[٣٨]

سلامٌ عليهَا ما أحَبَّتْ سلامنا* وإن كرهتهُ فالسلام على أُخرَى**

ويؤيد هذا:

١-كثرة الأسماء التي نجدها في شعر عمر بن أبي ربيعة كالرباب، وهند، و نعم، سكينة، الثريا وعبده، وغيرها.

- "فنعم: هي امرأة من قريش كانت تكنى أم بكر وهي من بني جميح".

وفيها يقول:

آمن أل نعم أنت غادٍ فمنكر* غداة غدٍ أم رائح فمهجر**

-عائشة بنت طلحة وفيها يقول:

لعائشة ابنة التيمي عندي حمى في القلب ما يُرعى حماها**

-الثريا: وهي بنت علي بن عبد الله بن أمية الأصغر وفيها يقول:

من رسولي إلى الثريا فإنني* ضُقْتُ ذرعا بهجرها والكتاب**

أبرزوها مثل المهاة تهادى* بين خمس كواكب أتراب**

ثم قالوا تحبها ؟ قلت بهرا* عدد القطر والحص والتراب**

-سكينة بنت الحسين يقول فيها:

قالت سكينة والدموع ذوارف* منها على الخدين والجلباب**

-هند بنت الحارث المرية وفيها يقول:

لهند وأتراب هندٍ إذا الهوى*جميعٌ وإذا لم نخش أن يتصدَّعا** [٣٩]

٢-إصرار عمر على ذكر صاحبته ضمن مجموعة من النساء " هند وأترابها أو صويحبتها" ليتيح لها ولهن التغزل به.

قال عمر بن أبي ربيعة:[٤٠]

قالت الكبر أتعرفن الفتى* قالت الوسطى نعم هذا عُمَرُ**

قالت الصغرى وقد تَيَّمْتُها* قد عرفناه وهل يخفى القمر**

فالشاعر يجد متعة شديدة عندما يتغزل النساء به، وربما يرجع السبب أيضا إلى ميله الفطري إلى التحدث للنساء ومجالستهن، لذلك نجد في شعره الآنية والتجديد، فهو لا يؤثر امرأة بعينها بل يريد هندا و أترابها، وهذا يدل على أنه عابث ماجن، يحب بالجملة، فهو غير مخلص ولا يريد إلا المتعة والتسلية.

قال على لسان صاحبته:(٤١)

أهذا سِحْرُك النسوا * ن قد خبَّرنني خَبرك**

وقلنا إذا قضى وطرا * وأدرك حاجة هجرك**

٧-امتاز شعر عمر بن أبي ربيعة بتحليله لشخصية المرأة الحجازية، وتصويره لانفعالاتها و ردات فعلها، وحرصها على سمعتها وكرامتها.

٨-عمر يجيد التعبير عن مشاعر الحب في قلبه في لحظات الألم وساعات الفراق أكثر من ساعات اللهو، عندما يصف هلعه لساعة الفراق، وكيف يستنجد بصبره لتلك اللحظة المريرة:(٤٢)

زعموا بأن البينَ بعد غدٍ*فالقلبُ مما أزمعوا يجفُ**

نشكو وتشكو بعض ما وجدتْ*كلٌّ لوشكِ البين مُعترفُ**

٩-لقد امتاز شعر عمر بن أبي ربيعة بالصدق الفني في رسم لوحة الجمال ، وفي رسم التعبير عن الحب والشوق والصبابة

إني امرؤٌ مُولعٌ بالحسن أتبَعُهُ* لاحظَّ لي فيه إلا لذَّةُ النظرِ** (٤٣)

شاعر يعشق الجمال فاستطاع أن يصور لنا هذا الجمال ويبدع في تصويره.

١٠-يستمد عمر بن أبي ربيعة حواره في شعره من تجاربه الحياتية وخبراته ، فعقلية عمر من هذه الناحية تشبه عقلية القصَّاصين الذي يقصون علينا فصول الحياة كما تجري في أذهانهم ويستمدونها من الحياة الواقعية، وكذلك كان عمر.

توسع عمر بن أبي ربيعة في قصصه، وخياله أجبره على استخدام اللغة المألوفة كما تدعو إلى ذلك طبيعة القُصّاص وطبيعة مجتمعه.

١١-لقد امتاز عمر إلى جانب ملكته القصصية بقوة الملاحظة الشديدة لديه، مما ساعده على دقة الوصف، وذكر الحوادث القصصية مفصلة.

كقوله يصف نفسه وقد أقبل من سفره:(٤٤)

فقالت : نعم لا شكَّ غيَّر لونهُ* سُرَى الليل يطوي نصَّهُ والتهجُّرُ**

رأت رجلا ، أما إذا الشمس عارضت*فيضحى ، وأما بالعشي فيخْصُرُ**

أخا سفرٍ، جوابَ أرضٍ تقاذفت* به فلواتٌ فهو أشعث أغبرُ**

كثرة الاسفار والتنقلات في الليل والهجير غيرت لونه ،لأنه لا يثبت في مكان ،فقد رأت رجلا لا يستقر له مكان فهو يعرض نفسه للشمس إذ قابلته ويعرضها لبرد الليل فقضى عمره مسافرا متنقلا بين الصحاري حتى أضناه السير والسهر ،فاذا به يصبح ناحلا ضامرا مغبر الوجه لايركن الى الرحة والدعة .

١٢-العبث واللهو:

تأثر عمر بن أبي ربيعة بسلفه امرئ القيس الذي سنَّ طريقة التحدث إلى النساء والحكاية عنهن، ورسم المغامرات التي تدل على عبثه ولهوه، فعمر لا

يحمل حبه محمل الجد، ولا ينزله من نفسه منزلة مقدسة، بل هو أُلهيةٌ يُشبع بها هواه، ويرضي رغبته في العبث واللهو في سبيل مغامرة لاهية، أو نزوة عابرة.

فعمر مغرم بمتابعة النساء بغية اللهو والعبث، وصرف الوقت والسمر، وقد قال الدكتور طه حسين:" كان كل شيء في حياة عمر وسيلة إلى الاتصال بالمرأة وذكرها والتحدث إليها ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن عمر من هذه الناحية كان أعظم سمير عرفته المرأة في تاريخ العرب..."(٤٥).

وبعض شعره يوحي بأنه عابث ماجن لا هي عندما يقول: (٤٥)

فلهونا الليل حتى* هجم الصبح هجوما**

قلن: قد ناد المنادي وبدأ الصبح فقُومَا**

قمنَ يُزْجينَ غزالا*فاترَ الطرف رخِيما**

ولقد قضيت حاجا*تي ولاقيتُ النَّعيما**

وقد امتاز شعر عمر بن أبي ربيعة بنهضة فنية في الغناء والموسيقى لم يُعرف لها مثيل من قبل عند العرب ، وانتشر المغنون في الحجاز، وعرفت مجالس الطرب والغناء لا يكمل إلا بالشعر لذا كثرت ملازمة المغنيين للشعراء، وقد أقبل المغنون على شعر عمر بن أبي ربيعة؛ لما امتاز به من سهولة التعبير ودقة الوصف.

قال في فاطمة بنت عبد الملك:(٤٧)

ضاقَ الغَداةَ بِحاجَتي صَدريوَأبيتُ بَعدَ تَقارُبٍ أَمرِي**

وَذَكَرتُ فاطِمَةَ الَّتي عُلِّقت عَرَضاً فَيا لَحَوادِثِ الدَهرِ**

فَسَبَت فُؤادي إِذ عَرَضتُ لَها يَومَ الرَحيلِ بِساحَةِ القَصرِ**

حَتّى مَقالِهِمُ إِذا اِجتَمَعوا أَجُنِنتَ أَم ذا داخِلُ السِحرِ**

المطلب الثاني

الظاهرة الثانية في بيئة الحجاز: ظاهرة التخصص في الغزل السياسي " المنزع السياسي الرمزي"

من تقاليد الهجاء عند الشعراء العرب التعرض لنساء الخصوم والتغزل بهن، وقد سمي هذا النوع من التشبيب بقذف المحصنات.

" إن كعب الأشراف اليهودي كان يكيد للرسول صلى الله عليه وسلم فيتشبب بنسائه ونساء المسلمين، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتله" (٤٨).

لذلك و دفعا لكيد الشعراء الكفار تولى بعض شعراء الرسول بالرد عليهم فعمدوا للتغزل بنسائهم والتشبب بهن أيضا "(٤٩).

وقد راج هذا النوع من الشعر غير أنه لم يصل إلى المرتبة التي بلغها في عصر بني أمية على يدي ابن قيس الرقيات الذي مزج ما بين الغزل والسياسة في شعره.

وابن الرقيات : هو "عبيد الله بن قيس الرقيات، وقيل اسمه عبد الله بن قيس بن شريح بن مالك ، من بني عامر بن لؤي، شاعر قريش في العصر الأموي، ولقبه الرقيات كان له بسبب تشبيهه بثلاث نسوة يقال لكل منهن رقية" (٥٠).

يعتبر ابن قيس الرقيات رائد الغزل السياسي عند العرب، فهو الذي فتح للشعراء بابه فاتبعوه من بعده، على الرغم من أن عبد الرحمن بن حسان بن

ثابت " حين لجَّ الهجاء بينه وبين يزيد بن معاوية اتخذ الغزل الفاضح برملة أخته وسيلة إلى الهجاء المقذع" (٥١)، فحاكاه في هذا الاتجاه ابن قيس الرقيات، ولكن اختلف عنه بأنه مزج ما بين السياسة والغزل، فابن قيس الرقيات من شعراء الغزل اللاهي الصريح مثل عمر بن أبي ربيعة والعرجي، وهو في الطليعة من شعراء الغزل المكيين، فقد كان في مطلع حياته يلزم المغنين والمغنيات، وكان لذلك أثر واسع في موسيقى شعره ، وعذوبة الألفاظ ورشاقة الألحان ، مما يدل عل أنه كان يحيا حياة لاهية.

وقد مرت حياة ابن قيس الرقيات بمراحل:

١–فقد كان في المرحلة الأولى شاعرا قرشيا يخلص نفسه للشعر، ويهرب من السياسة.

وقد برع في شعر الغزل، ويصف الدكتور طه حسين (٥٢) غزل ابن قيس الرقيات فيقول:" إنه غزل قوي رقيق خلاب شديد الحرارة، سهل التناول".

وابن قيس الرقيات في رأي الدكتور طه حسين يحب النساء جميعا لا ليلهو بهن بل ليتخذ منهم مثله الأعلى في الجمال، لذلك في اعتقاده أنه صادق اللهجة في كل ما كان يقول من غزل؛ لأنه كان يحمل في نفسه صورة من جمال النساء ، يخلعها على من أراد أن يذكرها في شعره لأي سبب.

٢–أما المرحلة الثانية في حياة ابن قيس الرقيات عندما أوقع بنو أمية بأهل بيته في موقعة "الحرَّة" التي قتل فيها الكثير من أهله، مما جعله يبكي على من ماتوا في هذه الواقعة بكاءً حارًا ويثور على بني أمية ، وعلى يزيد بن معاوية، لذلك تحول إلى السياسة وناصبهم العداء من خلال حزب الزبيريين الذي كان يقوده عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب ، وكان من

وسائله إلى إغاظة بني أمية تغزله في أميرات هذا البيت على نحو ما فعل في غزله في أم البنين زوج الوليد، وفي عاتكة زوج الخليفة عبد الملك.

لذلك تفرد ابن قيس الرقيات في هذا اللون من الشعر وتخصص فيه وهو غزل لا يصدر عن الشاعر تعبيرا عن عاطفة الحب ، بل قصدا إلى التشهير بأعراض الخصوم وإغاظتهم، وتحقيرهم بين الناس.

وبهذا الضرب من الغزل السياسي أو الهجاء السياسي أو كما يسميه الدكتور طه حسين بالغزل الهجائي قد برع ابن قيس الرقيات في فتح هذا الباب للشعراء من بعده ويؤكد ذلك الدكتور طه حسين في كتاب " حديث الأربعاء"(٥٣)، حين قال:" إن هذا الغزل الهجائي الذي يكاد ابن قيس الرقيات يكون مبتدعه ، هو لون فني جديد استحدثه الشعراء المسلمون".

وبهذا الضرب من الغزل السياسي أو الغزل الهجائي اعتبر ابن قيس الرقيات أحد الشعراء المجددين في فن الشعر السياسي في العصر الأموي.

ذلك أنه كان " صاحب لهو وسياسة" وقد اتخذ الغزل وسيلة إلى اللهو والسياسة، فكان يتغزل حينا ليلهو، أو ليصف عواطف نفسه حقا، وحينا آخر ليعبث بخصومه السياسيين إذ يذكر نسائهم بما يحسن و بما لا يحسن" ويتأسس هذا الفن الشعري عند ابن قيس الرقيات عل العمل السياسي، غزلا ومديحا وهجاءً، وقلما ذهب شاعر غيره هذا المذهب في شعره".

وقد لمع الشاعر في الغزل لسببين اثنين:

١- لأن شعره في الغزل طغى على سائر شعره، فهو أكثر صدقية من شعره في المديح و الهجاء [٥٤]؛ لأنه في الأصل شاعر من شعراء الغزل في بيئة مدن الحجاز وقد برع فيه.

٢- لأنه اتبع في شعر الغزل سبيلا مزدوجا [٥٥]، فأراد تحقيق هدف سياسي في التهجم على بني أمية، وإغاظتهم وتجريحهم حين كان يحاول تحقيق هدفه في اللهو والعبث مع النساء، ولهذا عرف ابن قيس الرقيات بالغزل أكثر مما عرف بالمديح والهجاء.

فكان يصدر في كل شيء عن موقف سياسي " ذلك أن السياسة كانت قد سلبت عقله فغرق فيها إلى رأسه، وقد أثَّر ذلك في شعره أيما تأثير، مما جعل شعر الغزل وهو أبعد أنواع الشعر عن السياسة يقع تحت أثقالها" [٥٦].

*فقد تشبب ابن قيس الرقيات بأم البنين زوج الوليد بن عبد الملك وأعجبته وأعجبها، ولا شك أن ابن قيس الرقيات كان قد بلغ من هذا الغزل لما أراد؛ فقد ثارت ثائرة الأمويين وغلت صدورهن بالغضب والحقد عليه، فتوعدوه، وأهدروا دمه؛ بعدما أظهر الاستخفاف بهم، ونال من هيبتهم ، وتجاهل ولايتهم وسلطانهم، وقد قصد إلى ذلك قصدا في شعره، حتى بدا كأنه الغرض الوحيد الذي ذهب إليه.

تعتبر قصيدته في أم البنين من أهم قصائد ابن قيس الرقيات التي جعلها في الغزل السياسي فقد ذكرها ذكرا مفصلا تفصيلا من شأنه أن يؤذي ويسيئ ، ولكنه احتاط لنفسه ولأم البنين فزعم أن هذه القصة الطويلة المفصلة إنما وقعت له في المنام" [٥٧].

حيث يقول ابن قيس الرقيات :[٥٨]

أصحوتَ عن أم البنيـــــــ ن وذكرها وعنائها**

وهجرتها هجر امرئ لم يقلُ صفو صفاتها**

زادت عل البيض الحســـان بحسنها ونقائها**

لولا هوى أم البنـــــــين وحاجتي للقائها**

قد قُرّبت لي بغلة محبوسة لنجائها**

ويتخيل أم البنين جاءته في الحُلم فنال منها كل ما أراد ، وكأنها امرأة مبتذلة، لا يمسكها طهر ولا عفاف، فهي تمعن معه في اللهو إلى طلوع الفجر، حيث يقول:(٥٩)

اتتني في المنام فقلت ** هذا حين أُعْقَبُها (٦٠)

فلما أن فرحت بها * *ومال علي أعذبها (٦١)

وبت ضجيعها جذلا* *ن تعجبني وأعجبها (٦٢)

وأيقظنا مناد في ** صلاة الصبح يرقبها (٦٣)

فكانت ليلة في النوم نسمرها ونلعبها**

كما تغزل ابن قيس الرقيات في عاتكة زوج عبد الملك بن مروان عندما يقول: (٦٤)

بدت لي في أترابها فقتلنني* كذلك يقتل الرجال كذلكا**

وقالت لو أنَّا نستطيع لزاركم* طبيان منا عالمان بدائكا**

فهنا جعلها في صورة مبتذلة أنها ترسل رسولان ليخبرا ابن قيس الرقيات بالحب الذي سرى في نفس عاتكة له.

*فقد ظل الشاعر يصول ويجول بشعره ضد عبد الملك، و بني أمية ونسائهم، معلنا أن صلاح الأمة لا يتم إلا باجتماعها على ابن الزبير الذي يمثل الحكم القرشي الصحيح.

*" تعتبر موقعة " الحرة" حدّا فاصلا بين عهدين في حياة ابن قيس الرقيات وشعره، فبينما كان بعيدا عن الاهتمام بشؤون العامة، منقطعا لمسرات الشباب وحاجات القلب –وقد تملكه حب رقية بنت عبد الواحد– إذ هو يفجع بموت نفر عزيز من أهله، ورهط من عشيرته في الموقعة المذكورة، فيحقد على بني أمية، وتدفع به الظروف للارتماء في أحضان السياسة والمساهمة في معاركها من قريب أو بعيد" (٦٥).

***ولابن قيس الرقيات لونان من الغزل:** (٦٦)

١–الغزل الوجداني الصادق الذي عكف على الاكثار منه، وذلك قبل اتصاله بالسياسة واهتمامه بشؤونها.

وفي هذا القسم يتغنى بالتي أسرت قلبه " رقية"، ومقاطع هذا الغزل طويلة تمتاز بأوزانها الخفيفة،؛ لأنها صورة لمجتمع الحجاز اللاهي، ولطبقة الموسرين وأهل الترف.

فقد كان غزل الشباب التائه في دنيا الجمال ، التائق إلى لذات الحب ومن هذا اللون قوله:(٦٧)

حَبَّذا الدَلالُ وَالغُنُجُ وَالَّتي في طَرفِها دَعَجُ**

الَّتي إِن حَدَّثَت كَذَبَت وَالَّتي في وَصلِها خُلُجُ**

تِلكَ إِن جادَت بِنائِلِها فَابنُ قَيسٍ قَلبُهُ ثَلِجُ**

وَتَرى في البَيتِ سُنَّتَها مِثلَ ما في البيعَةِ السُرُجُ**

حَدِّثوني هَل عَلى رَجُلٍ عاشِقٍ في قُلبَةٍ حَرَجُ**

فالشاعر في هذا النص يتغزل ويتغنى بالتي أسرت قلبه ، وملكت مشاعره، فيحب فيها التدلل والغنج والجمال، فقد أسرت قلبه وملكت عليه مشاعره، ولا يجد في ذلك عيب ولا حرج ؛ لأنه عاشق لهذا الجمال والدلال.

فشاعرية ابن قيس الرقيات في جوهرها وجدانية ذاتية فقد عشق الجمال و الدلال والغنج.

٢-**أما اللون الآخر من غزله** ، فقد كان بمثابة مطالع لشعره في السياسة والمديح، وقد اتخذه وسيلة للهجاء والنيل من بني أمية، ومن نماذجه ما قاله في عاتكة زوج عبد الملك، وأم البنين زوج الوليد، وقد قصد فيه إلى الصورة المادية، فابتعد عن التعفف وأمعن في التهتك.

و" يتخذ الغزل وسيلة من وسائل الخصومة السياسية، فاخترع الغزل السياسي، أو الغزل الهجائي، وكان في هذا الغزل عفيفا حلو اللسان، مؤدبا حسن الثناء، لا يريد إلا أن يغيظ خصومه السياسيين بذكر نسائهم والتحبب إليهن"[٦٨].

المبحث الثاني

ظاهرة التخصص في الغزل " بادية الحجاز"

أما بيئة البادية فقد ازدهر بها لون آخر من ألوان الغزل، وهو "الغزل العذري"، وهو اللون المقابل للغزل اللاهي أو الصريح الذي ظهر في المدن الحجازية.

وينسب هذا الغزل إلى قبيلة بني عذرة، وهي قبيلة عربية قضاعية قحطانية كانت تنزل في البادية شمال الحجاز في وادي القرى بمنطقة المدينة، وتمتد مضاربها إلى تبوك، ولكن ليس معنى هذا أن هذا الحب اقتصر على هذه القبيلة؛ إنما وجدنا في بوادي أخرى غير هذه البادية كبادية نجد، لكنه شاع وانتشر بكثرة في هذه القبيلة حتى عرف بها وعرفت به.

فنجد أن لفظة " عذري" لم تطلق على شعراء الغزل في الجاهلية وصدر الإسلام ، وقد جاء الوصف بها على لسان جميل بن معمر " جميل بثينة" رائد العذريين في العصر الأموي" ويروى أنه استضاف رجلا يدعى جعفرا وضع له خبزة ، فجعل الرجل يأكل بنهم ويحدث جميلا عن بنت عم له يحبها حتى أتى على الخبزة، فقال جميل:

وقد رابني من جعفر أن جعفرا* ألحَّ على قُرْصي ويبكي على جمْل**

فلو كنتَ عذري العلاقة لم تكن بطينا وأنساك الهوى كثرة الأكل** [١]

" والغزل العذري جاهلي النشأة فقد عرفنا في العصر الجاهلي مجموعة من الشعراء المتيمين تغنوا في شعرهم بعواطفهم الحارة الصادقة، وسموا بها فوق نوازع الجسد، ولذلك يعد بحق النواة الأولى لظاهرة الحب العذري الذي انتشر في العصر الأموي، واستمر هذا النوع من الحب في صدر الإسلام، ومن

هؤلاء الشعراء الذين عرفوا في الجاهلية بهذا النوع من الغزل عنترة ، عبد الله بن عجلان النهدي، والمرقشان الأكبر والأصغر، ومن الشعراء المخضرمين عروة بن حزام و عبد الله بن علقمة العامري، الصمة بن عبد الله القشيري"[٢].

فقد ارتبط كل واحد منهم بصحابته التي أحبها وعرف بها، كما أخلص كل واحد من هؤلاء الشعراء المتيمين إخلاصا شديدا لحبيبته، ولم يتحول عنها إلى غيرها، وتحمل في حبها أهوالا أضنته أو أذهلته وقتلته، ومن بين هؤلاء المتيمين عنترة الذي تميز بفن الغزل وانفرد به ، فقد مزج الغزل بالفروسية عندما يقول في حبه لعبلة :[٣]

ولقد ذكرتكِ والرِّماحُ نواهل* مني وبيض الهند تقطر من دمي**

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسِّمِ**

عنترة ذكرها والسيوف تتصافح والرماح تشتجر وبلغت شجاعته و حبه معا أنه ودَّ أن يقبل السيوف؛ لأنها تبرق كما تبرق ثناياها، فقد مزج حديث الحب بحديث الحرب وفي أثناء هذا يتذكر صاحبته فيتغزل بها في أحرج أوقاته عندما تتصافح السيوف وتشتجر الرماح.

*ولقد ظلت البادية تعيش في عزلة نسبية عن التيارات الحضارية التي كانت في مدن الحجاز وغيرها من الأقاليم الإسلامية، محتفظة بتقاليدها الاجتماعية القديمة، ومثلها الخُلقية الموروثة منذ العصر الجاهلي.

ومن بين هذه المثل و التقاليد التي ظل مجتمع البادية حريصا عليها وضع المرأة الاجتماعي ونظرة الرجل إليها ، فقد ظلت المرأة في هذا المجتمع خاضعة لنفس التقاليد الصارمة التي كانت مفروضة عليها منذ العصر

الجاهلي، تقاليد المنعة والحجاب، والرقابة والحراسة، ولم تستطع أن تنال ذلك الحظ من الحرية الاجتماعية التي نالتها المرأة في مدن الحجاز، وساعد ذلك اختفاء طبقة الجواري الأجنبيات من هذا المجتمع، وهي الطبقة التي أثارت موجة اللهو والغزل اللاهي في نفوس شباب المدن، فلم يكن أمام شباب البادية إلا فتيات القبائل أو بنات العم المحجبات الممنعات بكل ما يتمتعن به من حصانة ،وكل ما يحيط بهن من قداسة وبهذا أغلقت فرص اللهو أمامهم، وزاد من ذلك موقف الإسلام من مظاهر اللهو ومحاولته الجاهدة القضاء عليها، و هو موقف كان يلقى استجابة من شباب البادية الذين ظلوا بمنأى عن التأثر بالحضارات الأجنبية، التي كانت تعمل في قوة وإلحاح في تغيير مجتمع المدن تغييرا كبيرا كان يلقى استجابة شديدة من شباب هذا المجتمع.

*وإلى جانب ذلك ظل المجتمع البدوي من الناحية الاقتصادية مجتمعا فقيرا، تعتمد الحياة فيه على الرعي ، وتسيطر على مستواه الاقتصادي ظروفه الطبيعية التي لا يملك لها تغييرا؛ فظل يعاني من شظف العيش وقسوة الحياة، وجدب البيئة، وزاد من شدة الموقف أن السياسة الأموية لم تقف منه موقفها من مجتمع المدن الحجازية، فلم تعمل عل إغراقه بالأموال والثراء، كما أغرقت المجتمع الحجازي في المدن؛ لأنها لم تكن تخش من ناحيته خطرا على سلطانها السياسي فلم تظهر فيه تلك الطبقة الأرستقراطية الغنية المترفة التي ظهرت في المجتمع الحجازي، ولعبت دورها الكبير على مسرحه اللاهي.

ومن هنا ظل الحرمان هو السمة الغالبة على المجتمع البدوي، وظل الكبت هو العنصر الكامن في أعماقه، فمجتمع البادية في عصر بني أمية تخلص من شيئين فخلص له شيئان:

١-تخلص من روح الجاهلية القديمة في حياته الدينية والخلقية ، فخلص له الروح الإسلامية الجديدة في بعض جوانب حياتها التي تحمل في طياتها ما بثَّه الإسلام في النفوس من قيم ومبادئ جديدة كالعفة والطهر والخوف من الحساب يوم الحشر.

٢-وتخلص من روح العصر الجديد " عصر بني أمية" في حياته الاجتماعية والسياسية، فخلص له روح البداوة الموروثة في بعضها الآخر.

فقد انصرفوا عن مشكلات مجتمعهم انصرافا شبه تام، وعن التفكير في السياسة و البعد عن الجواري والمغنيات والغناء والترف، لذلك خلصت له روح البداوة في المثل والتقاليد التي ظل مجتمع البادية حريصا عليها.

*وفي ظل هذه الظروف الاجتماعية والاقتصادية انتشر هذا اللون من الحب أو الغزل على الطريقة البدوية، الذي عرف باسم " الغزل أو الحب العذري" وهو غزل وجد فيه شباب البادية متنفسا لهم مما يعانونه من " كبت وحرمان".

*وقد كثر العشاق العذريون في هذه البيئة ، وعرفت القبائل البدوية المنتشرة فيها كثيرا منهم كما عرف كل واحد منهم بمحبوبة له اقترن اسمه باسمها.

قيس بن الملوح وليلى " مجنون ليلى"، قيس بن ذريح ولبنى " مجنون لبنى" ، وجميل و بثينة، وكثيّر وعزة، و ذو الرمة ومي وغيرهم.

ومنهم من اشتهر باسه مجردا من اسم حبيبته كتوبة بن الحمير عاشق ليلى الأخليلية، و أبو صخري الهذلي، ورؤبة بن العجاج، وغيرهم.

وقد يصل الحال بالمحبين إلى الإشراف على الموت لمرضهم وضعفهم وهزالهم من قلة الطعام بسبب الحب.

" قال رجل منهم ذات مرة: لقد تركت بالحي ثلاثين شبابا خامرهم السل، ما بهم داء إلا الحب" (٤)

وقيل لآخر ،ممن أنت ؟ قال: من قوم إذا أحبوا ماتوا، فقالت جارية سمعته: عذري ورب الكعبة"(٥).

وقيل لأعرابي عذري: ما بال قلوبكم تنماث كما ينماث الملح في الماء؟ أما تجلدون؟ قال إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها"(٦).

وعذرة التي ينسب إليها هذا اللون من الحب قبيلة كانت لها أعمال مجيدة في أيام العرب، وكان رجالها من أفصح الناس، واشتهر عشاقها بالموت في سبيل حبيباتهم، وقد قال أحدهم يصف قومه:" في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة" (٧).

فكان هؤلاء الفتيان ضحايا لتلك الصباحة التي مزَّقت أكبادهم، وبددت أحلامهم، وأفنت من شباب القبيلة العدد الكبير.

*والذي يلفتنا في هذه الظاهرة أن أصحابها انصرفوا عن مشكلات مجتمعهم انصرافا شبه تام، وداروا جميعا في فلك تجربة واحدة ، هي تجربة الحب المقرون باللوعة، والفشل ، والحرمان.

وعند النظر إلى العوامل التي ساعدت على ازدهار هذا اللون من الشعر في هذه البيئة البدوية نجد أنها تكمن في:

١-الفراغ الذي كان يعيشه الشعراء في البادية.

٢-الغيرة على المرأة والمحافظة عل التقاليد البدوية.

٣-العفة و الطهرية الدينية الأخلاقية في المجتمع البدوي.

وكل هذه العوامل ساعدت على ازدهار هذا اللون في البادية في الحجاز ونجد.

وتكاد قصص هؤلاء العشاق تتشابه ، فالشاعر تقع عينيه على فتاته فيحبها من أول نظرة، ثم يقول فيها شعرا تتناقله الركبان، ثم يخطبها من أهلها فيرفضون تزويجها إما لفقره، أو لاشتهار حبه لها ، وقد يتم هذا الارتباط بين العاشقين، ولكن ظروفا تطرأ فتفرق بينهما فلا يزيده هذا إلا معاناة في حبها ، والتغزل بها، ثم يزوجها قومها غيره فيشتد هيامه بها وهيامها به، فيتواعدان ويلتقيان ، فيستعدي أهلها الخليفة عليه، فيهدر دمه، فيضطر إلى الفرار أو يهيم على وجهه في الصحراء حتى يدركه حينه يائسا يحطم القلب، وهذه القصص نجدها في كتاب الأغاني عند حديثه عن شعراء الغزل العذري" ولكن أخطر مظهر من مظاهر هذه المدرسة، هو أن أحدهم لم يكن شاعرا فحسب، وإنما كان أيضا بطلا لقصة شعبية تدور حول حبه، ومن هنا وجدت في هذا العصر القصة العاطفية التي تدور حول الحب، وبطلاها ينتهي حبهما بهما إلى الهلاك، ويتداخل في تكوينها الشعر والنثر بحيث يكوِّن كل منهما أصلا من أصول تركيبها الفني ،ولكن هذه القصة ليست من عمل الشعراء أصحاب الغزل التي تتضمنه وإنما هي من صنع القصاص والرواة" (٨).

*الغزل الذي نما في البوادي أنتج لنا نموذجين اثنين من الشعر، أو ظاهرتين اثنين من الشعر تفردت بهما بيئة البادية الحجازية:

المطلب الأول:

١-الظاهرة الأولى : " المنزع النفسي"

غزل عفيف طاهر، طغت عليه نزعة الحب الوجداني الصوفي ، وعميده " جميل بثينة" الذي أقام له مجسما في ركن الروح، وأخذ يعاني القلق والنحول والهيام، فهو غزل يؤسس للحب الصوفي، أو يبنى عليه الحب العفيف السامي الذي يَصْل المحب بناره ويستقر في أحشائه، حتى كأنه يصبح محنة أو داءً لا يستطيع التخلص منه ، ولا الانصراف عنه، فهي ملاكه السماوي.

قال جميل بثينة: (٩)

خيالك في عيني وذكرك في فمي فمثواك في قلبي فأين تغيب**

فالشاعر لا يرى سوى صورة محبوبته ، فلا يتخيل سوى صورتها ، ولا يذكر إلا هي، فقد استقرت في قلبه ولن تخرج منه، فحبه لها حب حقيقي فقد استحكم في قلبه وأصمه، و أصبح حبها قوة خفية يجول العالم بطاقة سحرية حيث يقول:(١١)

هي السحر، إلا أن للسحر رقية* وإني لا أُلفي لها الدهر راقيا**

فحب جميل بثينة عميق في الوجدان ، فهو يملأ عليه كيانه، فجميل صادق في حبه من جهة ، ومخلص لبثينة من جهة ثانية، وإنه لصادق الحب لبثينة لا يلتفت إلى أحد سواها وهو يقسم لها بذلك قائلا:(١١)

حلفتُ لكيما تعلمين صادقا* وللصدق خيرٌ في الأمور و أنجحُ**

لرؤية يوم واحد من بثينة* ألذ من الدنيا لديَّ وأملحُ**

بل الشاعر يعرض عمن سواها على الرغم من أنه كان يتمتع بجمال الخلقة، وقوة الشكيمة و الشجاعة والفروسية ، لكن كل مظاهر القوة كانت تتحول إلى

رقة بالغة وعذوبة محببة، وهو يشرح ويوضح لبثينة حبه و ما يتحمله في سبيله، وما يقاومه من إغراء ، وما يفعله من أجلها، كل ذلك في شعر بالغ الروعة عندما يقول: (١٢)

حاولنني لأبتَّ حبلَ وصالكم مني، ولستَ، وإن جهدنَ، بفاعلِ**

فرددتهنّ، وقد سعينَ بهجركم لماّ سعينَ له، بأفوقَ ناصلِ**

يَعْضَضْنَ، من غَيْظٍ عليّ، أنامِلاً ووددتُ لو يعضضنَ صمَّ جنادلِ**

ويقلنَ إنكِ يا بثينَ، بخيلةُ ** نفسي فداؤكِ من ضنينٍ باخلِ

سلاسة في اللفظ، ورقة في التعبير، وبساطة في الحديث المرسل على الفطرة دون تعقيد أو تصنع مع صدق العاطفة يمتزج في هذا النص مشاعر الوفاء لبثينة، والعنف على العواذل في الرد لحرصهن على إفساد العلاقة بينهما .

ويمضي جميل يشكو حبه ، فالشاعر لا يني يتغنا لمعشوقته ويعتبر حبها كل حياته.

عندما يقول :(١٣)

لها في سوادِ القلبِ بالحبِّ ميعةٌ*هيَ الموتُ أو كادتْ على الموتِ تشرفُ(١٤)**

وما ذكرتكِ النفسُ، يا بثنَ، مرة* من الدهر، إلاّ كادت النفسُ تُتلَفُ**

وإلاّ اعترتني زَفرةٌ واستِكانَة* وجادَ لها سجلٌ من الدمع يذرفُ (١٥)**

وما استطرفتْ نفسي حديثاً لخلة أُسَرّ به، إلاّ حديثُك أطرَفُ

فالشاعر في النص يعبر عن قوة حبه لبثينة وحرارة في قوته في قلبه ، فقد تفردت بثينة بهذا الحب الأبدي الذي يسيطر على شغاف قلبه و جوارحه.

فجميل بثينة شاعر فصيح مقدم عند النقاد على جميع معاصريه من شعراء الغزل، وشعره رقيق سهل التراكيب واضح المعاني، متأجج العاطفة، وشعر جميل كله في النسيب سوى قطعتين أو ثلاث إحداها في المدح، لذلك يعد جميل بثينة رائد هذا اللون المتخصص فيه.

لقد استولت بثينة على عقله ووجدانه حتى أصبح لا يفكر إلا فيها، ويعيش على ذكراها في كل وقت حتى أثناء الصلاة، لهذا كان شاعرا وجدانيا يتأجج عاطفة، ويذوب رقة، ومما يزيد في تأثير غزله أنه مثالي عفيف شريف طاهر، ابتعد عن النزوات وارتفع فوق الشبهات عندما يقول:(١٥)

أرى كلّ معشوقينِ، غيري وغيرَها* يَلَذّانِ في الدّنْيا ويَغْتَبِطَانِ**

وأمشي ، وتمشي في البلادِ، كأننا* أسِيران، للأعداءِ، مُرتَهَنانِ**

أصلي، فأبكي في الصلاةِ لذكرها* ليَ الويلُ ممّا يكتبُ الملكانِ**

ضَمِنْتُ لها أنْ لا أهيمَ بغيرِهَا* وقد وثقتْ مني بغيرِ ضمانِ**

ألا، يا عبادَ الله قوموا لتسمعوا* خصومةَ معشوقينِ يختصمانِ**

وفي كل عامٍ يستجدانِ مرةً * عتاباً وهجراً، ثمّ يصطلحانِ**

يعيشانِ في الدّنْيا غَريبَينِ، أينما* أقاما، وفي الأعوامِ يلتقيانِ**

وما كان الحب لدى جميل عارضا ينقضي ، بل كان غاية في ذاته، بل محور حياته التي فرغ فيها للحب بعيدا عما يشغل به معاصروه من الشعراء كابن أبي ربيعة الذي كان يتخذ من الحب وسيلة للمباهاة أو اللهو.

لقد خلف لنا جميل بثينة أجمل أشعار الحب العذري العفيف ، وخلف لنا واحات من الشعر والعاطفة السامية، فجميل بثينة يرى الحب نوعا من العبادة

والتصوف، والجهاد، لدرجة أنه يرى قتيل الحب شهيدا لا يقل أجره عن شهيد الجهاد في سبيل الله ، عندما يقول: (١٦)

يقولون: جاهِدْ يا جميلُ، بغَزوةٍ * وأيّ جهادٍ، غيرهنّ، أريدُ**

لكلّ حديثٍ بينهنّ بشاشةٌ * وكلُّ قتيلٍ عندهنّ شهيدُ**

وقد عرف من الشعراء في هذه البيئة بالغزل العذري العفيف مجنون ليلى الذي ملأ الصحراء والبادية بشعره وحنينه إلى ليلى ، وقد امتلئ شعره بالألم والحنين والغربة والشوق فضرب بذلك مثلا الطهر والعفة ، فحب مجنون ليلى أبدي عندما يقول: (١٧)

تَعلَقُ رَوحي رَوحَها قَبلَ خَلقِنا * وَمِن بَعدِ ما كُنّا نِطافا وَفي المَهدِ**

فعاش كما عشنا فأصبح نادما* وليس وإن متنا بمنقصف العهد**

وَلَكِنَّهُ باقٍ عَلى كُلِّ حالة* وَزائِرُنا في ظُلمَةِ القَبرِ وَاللَحدِ**

لقد تعلقت روحي بروحها قبل أن نخلق، وبعد أن تكونت نطفتانا، وبعد أن انتقلنا إلى المهد عايشنا الحب ونما معنا، وإن متنا فلن ينقضي عهده وإنما هو حب باق في كل الأحوال وسيرافقنا في ظلمة القبر وإنه الحب الأبدي السرمدي الذي لا ينتهي بل يزيد وينمو.

ويعترف مجنون ليلى بهذا الجنون الذي أصابه من تعلقه وحبه لها عندما يقول:(١٨)

وَإِنّي لَمَجنونٌ بِلَيلى مُوَكَّلٌ* وَلَستُ عَزوفاً عَن هَواها وَلا جَلدا (١٩)**

إذا ذُكِرَت لَيلى بَكَيتُ صَبابَةً* لِتَذكارِها حَتّى يَبُلَّ البُكا الخَدَّا**

أَيا رَبِّ إِن لَم تَقسِمِ الحُبَّ بَينَنا ***سَواءَينِ فَاجعَلني عَلى حُبِّها جلْدا

في هذا النص يبين لنا مجنون ليلى كيف أنه مجنون بحبها، ملتزم به، ضعيف أمامه، وعلى الرغم من ذلك لست تاركا حبها ولا صبورا عليه، فإذا ذكرت ليلى لي بكيت شوقا إليها حتى يبُلَّ الدمع خدِّي.

يدعو الشاعر ربه فيقول: يا رب إن لم تشأ أن تقسم الحب مناصفة بيني وبينها فاجعلني صبورا على هذا الحب.

*ويرد على من اتهمه بالجنون والسحر بقوله:(٢٠)

يقولون مجنون يهيم بذكرها* و الله ما بي من جنون ولا سحر**

إذا ما قرضت الشعر في غير ذكرها* أبى وأبيكم أن يطاوعني شعري**

يقول الوشاة هذا مجنون يلهج باسمها ولا ينفك عن ذكرها، فوالله لست مجنونا ولا مسحورا ولكن إذا أردت نظم الشعر في غيرها، أبى الشعر والله أن يطاوعني.

ولا شك أن هذا الحرمان وذاك العذاب الذي كان يكابده مجنون ليلى كان من أسباب إبداعه في الشعر وتفوقه في الغزل ، لما يهيجان من مشاعر الوجد و لواعج الشوق ولوعة الحرمان.

يقول:(٢٠)

إلى اللهِ أَشكو حُبَّ لَيلى كَما شَكا * إلى اللهِ فَقدَ الوالِدَينِ يَتيمُ**

يَتيمٌ جَفاهُ الأَقرَبونَ فَعَظمُهُ * ضَعيفٌ وَحُبُّ الوالِدَينِ قَديمُ**

وَإِنَّ زَماناً فَرَّقَ الدَهرُ بَينَنا ***وَبَينَكِ يا لَيلى فَذاكَ ذَميمُ

والذي يلفتنا في هذه الحركة الشعرية في هذه البيئة البدوية الحجازية أن أصحابها يدورون جميعا في فلك تجربة واحدة هي تجربة الحب المقرون باللوعة والألم والحرمان ولعل ذلك عائد إلى:

***عوامل دينية :**

١-فإن هذه الحركة -الغزل العذري العفيف- تحمل في طياتها ما بثَّه الإسلام في النفوس من قيم ومبادئ جديدة، كالعفة والطهر والخوف من حساب يوم الحشر.

يقول مجنون ليلى: (٢١)

وإني لأستحييك حتى كأنما ** عليَّ بظهر الغيب منك رقيبُ

٢-عوامل اجتماعية وتقاليد:

" وقد يكون وراء هذه النشأة عوامل ترتبط بتقاليد المجتمع العربي ، وموقف الأهل من الشاعر الذي يتشبب بابنتهم، وكثرة الوشاة الذين ينغصون على العشاق صفو لقاءاتهم، أو يحولون دونهم"(٢٢).

ويؤيد ذلك قول جميل بثينة :(٢٣)

فليت رجالا فيك قد نذروا دمي* وهموا بقتلي يا بثين لقُونِي**

إذا ما رأوني طالعا من ثنية * يقولون : من هذت وقد عرفوني.**

ويقول أيضا:(٢٤)

فما بَرِحَ الواشون ، حتى بدت لنا* بُطُونُ الهوى مقلوبةً بظهورِ**

وقد بين لنا شعر مجنون ليلى أثر هذه التقاليد الاجتماعية القبلية على الشاعر وشعره عندما يقول:(٢٥)

أَلا حُجِبَت لَيلى وَ آلى أَميرُها * عَلَيَّ يَميناً جاهِداً لا أَزورُها**

وَأَوعَدَني فيها رِجالٌ أَبَرَّهُم * أَبي وَأَبوها خُشِّنَت لي صُدورُها**

عَلى غَيرِ شَيءٍ غَيرَ أَنّي أُحِبُّها * وَأَنَّ فُؤادي عِندَ لَيلى أَسيرُها**

٣- وربما كان من أسباب نشأة الحركة العذرية عامل سياسي:

يعود إلى الطريقة التي ساس الأمويون بها الحجاز، و حالة اليأس التي زرعوها في نفوس أهلها بعزلهم عن ميادين السياسة والحكم.

يقول مجنون ليلى:(٢٦)

خرجتُ فلم أظفرْ وعدتُ فلم أفزْ * بنيلٍ كلا اليومين يومُ بلاءِ**

فيا حسرتا ما أشبهَ اليأسَ بالغنى * وإن لم يكونا عندنا بسواء**

وهناك من يضيف إلى العوامل السابقة عاملا آخر " يتصل بنقلة العرب من البداوة إلى الحضارة، وما كان لابد أن يتبعها من تمزق في النفس العربية بين القديم والجديد"(٢٧).

ونتيجة لذلك فإن الحركة العذرية لم تولد صدفة، ولكنها رأت النور بفعل تظافر هذه المجموعة من العوامل والأسباب الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية، حيث جاء شعر الغزل العذري العفيف تعبيرا عن تجارب تلك النفوس المحبة التي تسلّحت بالإيمان، وتصونت بالعفة والطهر والوفاء.

وقد امتاز هذا الشعر العذري بمميزات وخصائص وسمات عرف بها، و إن من أبرزها :

١-الإكثار من ذكر الوشاة:

" وهم طائفة من الناس يجدون لذة في ترصد أحوال العشاق، وإفساد ما يجمعهم من علاقات عاطفية، بالوشاية والتحريض حينا، واللوم والعذل حينا آخر "(٢٨).

قال مجنون ليلى:(٢٩)

وَكَم قائِلٍ لي اِسلُ عَنها بِغَيرِها * وَذَلِكَ مِن قَولِ الوُشاةِ عَجيبُ**

فَقُلتُ وَعَيني تَستَهِلُّ دُموعَها * وَقَلبي بِأَكنافِ الحَبيبِ يَذوبُ**

لَئِن كانَ لي قَلبٌ يَذوبُ بِذِكرِها * وَقَلبٌ بِأُخرى إِنَّها لَقُلوبُ**

ومن عجيب ما يقوله الوشاة له : ابحث عن غير ليلى لتنساها، ولكن الشاعر يجيب فقلت وعيني تذرف الدموع وقلبي يذوب حسرة إلى حمى الحبيب، فلو كان لي قلب يذوب لدى ذكرها ، وقلب معلق بغيرها لغدوت صاحب قلوب ونساء كثر، ولكن القلب مرهون ومعلق بحب ليلى ولن يرى غيرها.

بل نجده يشكو إلى الله ما يلاقي من الوجد والألم بفعل الوشاة، حين يقول:(٣٠)

فَإِن يَحجُبوها وَيَحُل دونَ وَصلِها ***مَقالَةُ واشٍ أَو وَعيدُ أَميرِ

فَلَن يَمنَعوا عَينَيَّ مِن دائِمِ البُكا * وَلَن يُخرجوا ما قَد أَجَنَّ ضَميري**

فَما بَرِحَ الواشونَ حَتّى بَدَت لَنا * بُطونُ الهَوى مَقلوبَةً لِظُهورِ**

إِلى اللهِ أَشكوا ما أُلاقي مِنَ الجوى* وَمِن نفسٍ يَعتادُني وَزَفيرِ**

فإن يمنعوها أو يحل الوشاة وتهديد الأمير دون وصلها ، فلن يمنعوا عيني من البكاء الدائم ولن يخرجوا من ضميري ما قد أخفاه من الوجد والحب وحرقة الحب، وما زال الوشاة على إلحاحهم حتى أدار الحب لي ظهره مما قاموا به، ولكن إلى الله أشكو ما ألاقي من عذاب الحب والشوق كما أشكو من ضيق النفس والتحسر.

٢-هدر الدم:

" فكل عاشق عذري هو طريد السلطان؛ لأن أهل المحبوبة كانوا يستعدونه عليه، إذا فشلت محاولات منعه عن التشبيب بها، أو الإلمام ببيتها، قال جميل وقد أهدر السلطان دمه:

أحلماً فقبل اليوم كان أوانه* أم اخشى فقبْل اليوم أوعدْتِ بالقتل** [٣١]

بل إن الشاعر منهم لا يبالي بأي تهديد أو نذر بالقتل أو القصاص؛ لأن الحب الذي ملك فؤاده أعطاه سمة القوة، والتصدر لهذا الأمر ولذلك يقول كثيّر عزة:[٣٢]

ولست وإن أوعدتُ فيها بمُنْتَهٍ* وإن أوقدتْ نارٌ فشب وقودها**

وكان السلطان قد أهدر دم مجنون ليلى [٣٣] عندما يقول:

وقالوا دم المجنون في الحي مهدرٌ* وقالوا اضربوا والقول غير موافق**

قالوا لقد أهدر دم المجنون، حُقّ قتله، وهذا القول غير موافق ولا مقبول.

إن الشاعر العذري لا يبالي بهدر الدم؛ لأنه يهتم بهذا الحب والغرام ، ويتعذب شوقا لذكرها، و يمني النفس بها، كما يتمنى الصائم الماء البارد، عندما يقول مجنون ليلى :[٣٤]

ألم تعلمي أني أهيمُ بذكرها * على حين لا يبقى على الوصل هائمُ**

أظلُّ أُمَنِّي النفس إياك خاليا * كما يتمنى بارد الماء الصائمُ**

٣-الجنون:

" من فرط الوله والعشق، فالشاعر العذري هو نهب العواطف الملتهبة، تُعَقَّل إرادته، وتشل قوة عقله، فيهيم على غير هدى"(٣٥).

قال جميل بثينة:(٣٦)

ولو تركتْ عقلي معي ما طلبتها* ولكن طِلا بيها لما فاتَ من عقلي**

وقد صور الشاعر العذري مدى ما يصل إليه من فقد العقل حتى أنه يطلب من محبوبته أن ترد عليه بعض عقله الذي سلبته إياه، إلا أنها تطلب له المزيد من الجنون والهيام والفقد، فلا هو فاز منها بما يرجوه من الوصل والحب، ولا حبها يزول مع الأشياء التي تزول.

وإن قلتُ رُدي بعض عقلي أعش به* مع الناس قالت: ذاك منك بعيدُ**

فلا أنا مردودٌ بما جئت طالبا * ولا حبها فيما يبيدُ يبيدٌ**

وممن ابتلي بالجنون وعرف به قيس بن الملوح " مجنون ليلى" فقد اشتهر به، وصار علما عليه، ويقال أنه:" لم يكن مجنونا، بل كانت به لوثة يحدثها العشق فيه" (٣٨).

يقول:

ما بالُ قلبك يا مجنون قد خُلعَا* في حبِّ من لا ترى في نيلهِ طمعَا**

فهو يخاطب نفسه على هذا التعلق بليلى فيقول: ما بال قلبك أيها المجنون، قد انفطر في حب من لا أمل في نواله؟

ويبلغ الجنون حده في بعض الأحيان حتى يفقده القدرة على التركيز لشدة ما بلغ به الوجد حتى أصبح يصلى ولا يعلم الركعات التي صلاها عندما يقول:(٤٠)

فوالله ما أدري إذا ما ذكرتها* أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا**

وما بي إشراك ولكن حبها* وطول الجوى أعيا الطبيب المداويا**

فحب ليلى تمكن من المجنون حتى أنساه الشراب ولذته، وأبكاه في كل مكان، كما أنساه حب ليلى الصلاة والتسبيح وقراءة القرآن، قال:(٤١)

فحبِّكِ أنساني الشرابَ و بردهُ* وحبك أبكاني بكل مكان**

وحبك أنساني الصلاة فلم أقم* لربي بتسبيح ولا بقرانِ**

والشاعر العذري يعترف بهذا الجنون الذي أصابه لفرط حبه ووجده ، قال مجنون ليلى:

يسموننني المجنونَ حين يرونني* نعمْ بِيْ من ليلى الغداةَ جنونُ**

عندما يراه الناس يقولون: هذا هو المجنون، والواقع أن به جنونا من ليلى، وهذا اعتراف صريح منه بهذا الجنون.

٤-الغربة واليأس والحنين:

سمات بارزة في شعر العذريين ، فمن أقوالهم في :

أ-الغربة:

قال مجنون ليلى :(٤٢)

أظلُّ غريبَ الدار في أرض عامرٍ ألا كلُّ مهجور هناك غريب**

فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى* ولكنَّ من تَنأيْنَ عنه غريبُ**

فالغربة التي يشعر هي غربة الحبيبة وبُعدها عنه، فهذا ولَّد لديه الشعور بالغربة، فكل بعد عن ديار عامر وعن حبيبته ليلى يكون غريبا.

ويقول أيضا:(٤٣)

متى يشتفي منك الفؤاد المعذَّب وسهمُ المنايا من وصلكِ أقربُ**

فبُعْدٌ ووجدٌ واشتياق ورجفةً فلا أنت تدنيني ولا أنا أقربُ**

يقول الشاعر : متى يشفى الفؤاد المعذب من حب ليلى ، وسهم الموت أقرب من اللقاء بها فبعدٌ وشوق وحب معذّب واضطراب، فلا أنت تقربيني ولا أنا أستطيع الاقتراب، فكل هذا يسبب للشاعر الشعور بالغربة واليأس من الوصول إليها.

***اليأس:**

شعور ينتاب الشاعر العذري يؤدي به إلى قطع الرجاء في الوصول إلى حبيبته، وقد عبر عن ذلك مجنون ليلى :(٤٤)

يقولُ أناسٌ علِّ مجنون عامرٍ * يروم سُلُوًّا قلت أنَّى لما بيَا**

بيَ اليأسُ أو داءُ الهيام أصابني* فإياك عنِّي لا يكن بك ما بيَا**

يقول أناس كثر لعل مجنون بني عامر يرغب في النسيان، فقلت: أنَّى لي ذلك ؛ بسبب ما بي من وجد واشتياق وقد ينتابني اليأس بعدما أصابني داء الحب، فابتعد عني واحذر حتى لا يصيبك ما أصابني.

بل يصل اليأس به إلى أن تضيق عليه الأرض بما رحبت عندما تمكن منه الوجد والشوق والحرة و الألم، إنها حرَّ الصبابة الذي ملئ عليه فؤاده، وأدى به إلى الشعور باليأس عندما يقول:(٤٥)

لله قلبي ماذا قد أُتيح له حرُّ الصَّبابة والأوجاع والوصبُ**

ضاقت عليَّ بلاد الله ما رحبت* يا للرجال فهل في الأرض مضطربُ(٤٦)**

البَيْنُ يولمني، والشوق يجرحني* والدار نازحة والشمل منشعِبُ (٤٨)**

***الحنين:**

هو الشوق وتوقان النفس، وهي سمة بارزة في شعر العذريين، والحنين شعور مصاحب للغربة والوحشة، فديوان مجنون ليلى مليء بالحنين والوجد والشوق والوحشة والغربة، ويكثر لفظ الحنين

في ديوانه عندما يقول:(٤٩)

أحنُّ إلى ليلى وأحسب أنني **كريم على ليلى وغيري كريمها

أحنُّ وأشتاق إلى ليلي وأحسب أنني كريم تجاهها وأبذل

كل شيء في سبيلها ، وغيري مفضل لديها.

بل إن الحنين و الشوق إلى الحبيبة أبدي سرمدي عندما يقول:(٥٠)

أحنُّ إليها كلما ذرَّ شارقٌ كحب النصارى قُدْسَ عيسى بن مريما**

فوالله ثم والله إني لصادق غدوتِ مدى قلبي أجلَّ وأعظما**

فالشاعر يحن إلى محبوبته صباح كل يوم، وهو حنين شبيه بحب النصارى للمسيح بن مريم، فوالله إني لصادق في حبي ، وقد غدوت مدى قلبي أكبر شأنا وأعظم قدرا.

بل إن الحنين عند الشاعر والشوق يمتد إلى موطن حبهما وصباهما عندما يقول:(٥١)

أحنُّ إذا رأيت جِمَال قومي* وأبكي إن سمعتُ لها حنينا**

سقى الغيث المجيد بلاد قومي* وإن خلتِ الديار وإن بلِينا**

على نجد وساكنِ أرض نجدٍ* تحياتٌ يَرُحْن ويغتدينا**

يبين الشاعر في النص السابق ما يكابده من لوعات الشوق والحنين إل ديار قومه، وموطن الأحباب فيقول: إذا رأيت جمالا تذكرني بقومي، فأحن إليه، ويزداد الأمر شدة عليّ وأبكي عندما أسمع حنين الإبل، فأحن إلى الأحباب و موطني ، فسقى الله بلاد قومي غيثا خيرا، وإن خلت الديار أو بلينا، فعلى بلاد نجد وساكنيها تحيات في المساء والصباح.

بل يبلغ الحنين بالشاعر العذري غايته عندما يتمنى المبيت ولو ليلة واحدة في وادي القرى وموطن الحبيبة، فهذا جميل بثينة يقول: (٥٢)

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بوادي القرى إني إذنْ لسعيدُ**

***خلود الحب:**

وهي سمة ملازمة للشاعر العذري في حياته ومماته، فوقف قلبه وشعره عليها، وربما رأى في الموت خلاصا و راحة، ذلك هو الحب العذري الذي شُهر به أبناء عذرة، حتى قيل إنهم إذا أحبوا ماتوا؛ لما هم عليه من الصدق والإخلاص،

فالشاعر منهم عاشق متبول لا يقوى على مغالبة هواه ، ولو كان منه هلاكه فلذلك أصبحت سمة " خلود الحب" سمة غالبة على شعرهم.

يقول جميل بثينة :(٥٣)

يهواكِ ما عشتُ الفُؤادُ، فإن أمتْ* يتبع صدايَ صداكِ بين الأقبُرِ**

لقد تعلق قلب جميل ببثينة وأحبها حبا خالدا منذ ولادته ، وإن حبها يكبر ويزيد عندما يقول:(٥٤)

علقتُ الهوى منها وليدا فلم يزلْ* إل اليوم ينمي حبها ويزيدُ**

وفي هذا المعنى يقول مجنون ليلى :(٥٥)

تَعلَقُ رَوحي رَوحَها قَبلَ خَلقِنا ** وَمِن بَعدِ ما ان كُنّا نِطافا وَفي المَهدِ

فَعاش كَما عشنا فَأَصبَحَ نامِيا ولَيسَ وَإِن مُتنا بِمُنقصِف العَهدِ**

وَلَكِنَّهُ باقٍ عَلى كُلِّ حالة ** وَسائِرُنا في ظَلمَةِ القَبرِ وَاللَحدِ

*الشاعر العذري يهوى امرأة واحدة ، ولا ينتقل إلى غيرها، وإن لقي في حبها الهوان والجنون والموت، لذلك قصر شعره عليها، واقترن اسمه باسمها، فكان يقال: جميل بثينة، وقيس لبنى، وقيس ليلى ، كثير عزة...

فالعذرية مذهب في الحب ، ومذهب في الشعر، وموقف من الحياة، وصدى للتوحيد الإسلامي والعفة العربية التي فاحت في الجاهلية والإسلام، فالعذرية خلقت شاعرا، عاشقا، هائما، ناسكا في محراب الذكريات تمثل في مجنون ليلى، وجميل بثينة، وكثير عزة.

***الخصائص الفنية للغزل العذري العفيف:**

١- فقد تحقق في القصيدة العذرية وحدة الموضوع، وكنا نفتقدها في الشعر الجاهلي والإسلامي.

٢-"الشاعر العذري كان كثيرا ما يلج إلى موضوعه من دون مقدمات طويلة، وإن توقف على الأطلال ، فوقوفه قصير لا يتعد البيت أو البيتين يتخذهما منطلقا لحديثه العاطفي"(٥٦).

٣-لقد ساهم الشعراء العذريون في إغناء المعجم الشعري بما استخدموه من عبارات ، و ألفاظ بسيطة تعكس بساطة تجاربهم.

٤-كثرت في تراكيبهم صيغ الندبة والنداء ، والتأوه، والتمني، والتعجب، والتكرار، والتساؤل.

٥-ضعف الخيال في شعرهم وعجزهم عن ابتداع الصور الشعرية المركبة، فالخيال قليل في شعرهم؛ لأنهم اعتمدوا على الأسلوب المباشر، حيث يتجه الشاعر إل الحب وحده دون التواء، وتصوير حالة اليأس التي يعيشها الشاعر بسبب شدة أسر المحبوبة له.

يقول مجنون ليلى:(٤٧)

متى يشتفي منك الفؤاد المعذَّبُ* وسهمُ المنايا من وصالكِ أقربُ**

فبعدُ ووجد واشتياق ورجفةٌ* فلا أنتِ تُدنيني ولا أنا أقربُ**

كعصفورة في كفِّ طفلٍ يَزُمُّها* تذوق حياض الموت والطفل يلعبُ**

فلا الطفلُ ذو عقل يَرقُّ لما بها * ولا الطير ذو ريش يطير فيذهبُ**

يتساءل الشاعر متى يشفى الفؤاد المعذب من حبك، وسهم الموت أقرب من اللقاء بك، فبعدُ وشوق وحب معذّب واضطراب، فلا أنتِ تقربيني ولا أنا أستطيع الاقتراب ، شبيه بعصفورة في يد طفل يربطها، ويشدُّها فهي تذوق سكرات الموت والطفل يلعب لاهيا.

خيال بسيط واضح لا تكلف فيه.

المطلب الثاني :

الظاهرة الثانية التي تفردت بها بيئة البادية الحجازية " المنزع الجمالي الوصفي":

وهو الغزل في الصحراء ، هذا الغزل نقيّ باهر طغت علية نزعت الحب الوصفي أما عميد الغزل النقي ، فهو ذو الرمّة الذي كان يقيم له في شعره مجسما اتخذ عناصره ومواده من البادية، فغزل ذي الرمّة يصدر عن قلب لا يعشق ميّة وحسب، وإنما يعشق الصحراء نفسها، وهو يرى في الصحراء إطارا لميّة، مما جعله يحبها كما أحب ميّة، فاندفع يأخذ من الصحراء عناصرها ويخلعها على محبوبته، مما ميّز غزله وأدبه بجانب فريد ونادر في الشعر العربي عزّ نظيره.

*ومن هذا الغزل النقي القريب من العفة، خصوصا حين يستوعر في ألفاظه، متقصيا طبيعة الصحراء في قيعانها ومنبسطاتها فيتخذ لمحبوبة اوصاف صحراوية النجود والحزون حين يقول: (٥٨)

تُذَكرني ميّا منَ الظبي عينهُ * مرارا وفاها الاقحوان المنور**

وفي المرط من مي توالى صريمة * وفي الطوق ظبي واضح الجيد أحورُ**

وبين ملاثِ المِرْطِ والطوق نفنف * هضمُ الجشا رأْدُ الوشاحين أصفرُ**

فالشاعر يعشق ميّة فيجعل وصف الصحراء وغزله بها إطارا في غزله لها، وربما مزج غزله بالصورة عن الطبيعة الصحراوية فجاء ذلك نادرا في شعر ذي الرمّة، فحب الصحراء ملك عليه قلبه وعقله كما ملكت ميّة عقله وقلبه، فقد استطاع الشاعر أن يرسم لنا صورة ميّة وعلاقتها بصورة الظبية من حيث العناصر الجمالية التي يخلقها الشاعر في رسمه لصورة ميّة وحبه الشديد لها، وإنها لفرط حسنها وجمالها وعلى وجه الخصوص جمال عينيها كأنها عين الظبية، وهي ذات عينين نجلاوين واسعتين، ثم يبين الشاعر لنا كيف أن يذكره جمال ميّة بالظبية مرار وتكرار ، فكأن علاقة الشاعر بالصحراء علاقة حب وعشق تجعله يوجد علاقة ارتباط بينهما، فالظبية في هذا النص هي وسيلة التذكر بالنسبة للشاعر، فعن طريقها استطاع الشاعر أن يتذكر جمال عين محبوبته، ويضع مقارنة بينها وبين جمال عين الظبية، فهو يجد في الظبية من عناصر الجمال ما يجعلها الوسيلة المثالية لاستذكار ميّة، ولما للظبية من قواسم مشتركة وصفات متشابهة تضيف سحرا على خلقها، فعيون الظباء واسعة لافتة للأنظار، كما أن قدَّ الظبية وجيدها مثير لفتنة الشاعر ، واضحة الجيد أي لامعة الجيد ، بيضاء مشرقة فيها حور في عينها ، ثم يربطها بمحبوبته.

وبين طي المرط أي الإزار الذي تلبسه ميّة والطوق فتاة جميلة العنق خمصاء البطن نحيلة الخصر طيبة الرائحة.

فقد ربط عوامل الجمال التي في الصحراء بعوامل الجمال في محبوبته فتكاثفت هذه العناصر لتخلق لنا صورة حركية تنبض بالحياة ، فقد استعان الشاعر في وصف هيئة ميّة وجمالها وقامتها وعنقها بهذه الصفات التي استخدمها من الصحراء ورمالها وظبائها.

" في شعر ذي الرمّة رائحة الأرض، لونها، صداها، ليلها ونهارها، أبعادها كأن قطعا منها انسابت دوائر دوائر، ثم تلاصقت ، فامتزجت ، وكونت جسمه، وكأن ما فيها من نبات وحيوان، وخاصة ناقته التي هي صدى للناقة الجاهلية أشياء من أعضائه" (٥٩).

فحب ذي الرمّة حب عفيف كله أنين وزفرات ودموع وحنين بالغ من مثل قوله:(٦٠)

وَقَفتُ عَلى رَبعِ لِمَيَّةَ ناقَتي ** فَما زِلتُ أَبكي عِنَدهُ وَأُخاطِبُه

وَأَسقيهِ حَتّى كادَ مِمّا أَبُثُّهُ ** تُكَلِّمُني أَحجارُهُ وَمَلاعِبُه

وقد يصور لنا الشاعر الحالة النفسية بصورة بالغة الأثر قوية الإيحاد عندما يقول:(٦١)

عشيَّةَ ما لي حيلةٌ غيرَ أنَّني * بِلَقْطِ الْحَصى وَالخَطِّ فِي التُّرْبِ مُولَعُ**

أَخُطُّ وأمْحُو الْخَطَّ ثُمَّ أُعِيدُهُ* بِكَفَّيَّ وَالْغِرْبَانُ فِي الدَّارِ وُقَّعُ**

فقول ذي الرمة يدل على شاعر رقيق الحس، وقد حط رحاله بنزل الحبيبة وتفقدها فلم يجدها فأي معنى أجمل من هذه الصورة الجميلة الصادقة التي صورها لنا ذو الرمة، فقد أصابه الحزن والذهول، فجلس إلى الأرض منهكا يائسا، يخط ويمحو الخط بأصابع شرد عنها اللب، فأخذت تعبث بالرمال ، وفي الغربان الواقعة بالدار ما يملأ الجو أسى ولوعة.

وهل أصدق وأجمل من هذا وصفا؟ وهل أقوى منه على إيحاء ما يشعر به الشاعر ويصور به حالته النفسية عندما لم يجد الحبيبة وإنما وجد الآثار في منزلها.

ذو الرمة شاعر بدوي ولد وعاش في الصحراء ، وظهرت ميّة في حياة ذي الرمة المبكرة وهو في العشرين ، وأحبها حبا ملك عليه أرجاء نفسه، ووقفت الفوارق الطبقية بينهما، ثم انتهت القصة كما تنتهي قصص عشاق البادية العذريين، فقد تزوجت ميّة ابن عم لها، وخلفت لذي الرمة الشوق والحنين ، والحسرة، والدموع، واليأس، والحرمان، فنجد أن الموضوعان الأساسيان في شعر ذي الرمة هما:

١-الحب ٢-الصحراء.

فهو يبدؤها في شعره بحديث الحب، حب ميّة وولعه وشوقه، ثم ينتقل إلى حديث الصحراء متخذا من ناقته في أكثر الأحيان وسيلة لهذا الانتقال، أو جسرا يعبر عليه من شاطئ الحب إلى شاطئ الصحراء الذي ينطلق دائما فوقه في حيوية دفاقة، وحركة لا تهدأ ، ونشاط لا يستقر، فالشاعر صديق الأرض والليل، والأشواق، وقد عبر عن ذلك في شعره" ولشدة ولوعه بالصحراء ولشدة حبه أيضا وعفته معا في آن واحد، أقبل ذو الرمة، يقيم لمحبوبته مشاهد صحراوية، فيرسم مناظرها بجميع تفاصيلها، حين يقدّم لنا محبوبته، أو يصفها، أو يتحدث إليها"(٦٢).

فقد أعطى ذو الرمة لشعر الغزل بعدا تصويريا لا عهد له به، فإن هذه النقاوة في شعر الغزل عند ذي الرمة إنما يعود إلى اختياره اللغة الشعرية المجازية على اللغة الشعرية الواقعية، ووصف الصحراء عند ذي الرمة يختلف عن وصفها عند الشعراء القدماء والمعاصرين له، وهو من هذه الناحية يمثل ظاهرة فريدة في الشعر العربي، فقد كان القدماء والمعاصرون له يعرضون لوصف الصحراء في ثنايا قصائدهم التي تدور حول موضوعات الشعر التقليدية، أما ذو الرمة فقد أصبح وصف الصحراء عنده موضوعا مستقلا يفرد له القصائد،

ويهب له فنه، وكل ما يملك من وسائل تعبيرية وتصويرية، فأهمية ذي الرمة تأتي من هذا التخصص بوصف الصحراء ، أو هذا التفرغ له، وفي هذا التخصص أو التفرغ يمكن أول فرق بين ذي الرمة وغيره من الشعراء، وكل من يتبع وصف ذي الرمة للصحراء يلاحظ أنه لا يصفها كما يصفها غيره من الشعراء من حيث مناظر ومشاهد يعجب بها الشاعر فيسجلها في شعره، ولكنه يصفها كما يصف العاشق محبوبة له تملك عليه لبه ، وتأخذ بمشاعره، فالصحراء عنده محبوبة يحبها كما يحب ميّة، ومن هنا كان حديث ذي الرمة عن الصحراء ليس وصفا لها ، ولكنه في حقيقة أمره غزل بها يعبر عن الفتنة والعشق التي يحملها في أعماقه، فهو عاشق الصحراء الذي عاش بها ولها، فالصحراء في ديوان ذي الرمة أهم من الحب، فهي كائن حي ينبض بالحياة ، وليست مجرد مناظر جامدة، أو مشاهد صامتة، فالصحراء عند ذي الرمة كائن حي يندمج فيه الشاعر ويفنى، ليسجل بعد ذلك انطباعاته الصادرة عن أعماق نفسه.

فهو لا يصفها وصفا خارجيا كما تتراءى له مناظر ومشاهد ومظاهر حياة، ولكنه يصفها وصفا داخليا صادرا عما يحمله لها من مشاعر الحب والفتنة.

" كان ذو الرمة ماهرا حقا في لجوئه إلى الصحراء وأشيائها؛ لأنه استطاع أن يتخذ منها مجازا إلى محبوبته ميّة، وإذ كان ينفثُ في ثور الوحش ، نفسية البدوي المعتز بنفسه، نراه ينفث أيضا في غيره من الحيوان كل ما يضطرب في نفسه من قلق و وساوس إزاء حب ميّة، وربما استرسل في وصف هذا القلق من خلال وصف أشياء الصحراء وعناصرها"(٦٣).

لقد كانت الناقة مرآة يحاول الشاعر من خلالها أن يصف ما يختلج في ذاته من مشاعر تراود الشاعر ويعكسها على ناقته.

يقول:[٦٤]

لميٍّ ترامتْ بالحصى فوقَ متنهِ* مراويدُ يستحصدنَ باقيةَ البقلِ**

إِذَا هَيَّجَ الْهَيْفُ الرَّبِيعَ تَنَاوَحَتْ* بِهَا الْهُوجُ تَحْنَانَ الْمُوَلَّهَةِ الْعُجْلِ**

إن الشاعر يشعر بالحزن الشديد وهو يستذكر محبوبته مي، فيصور مدى الحنين الذي يكتنف الشاعر بمدى الحنين الذي يصيب الناقة عندما تفقد أبناءها، فهو أشد أنوع الحنين ، وأوجعه،

و أقواه، إن صورة الناقة أصبحت انعكاسا لمعظم المشاعر التي تنخلق في ذات الشاعر وأصبحت تحتل مساحات شائعة من الحراك الشعري الذي ينتظم الشاعر في مداره، لقد برع الشاعر في استخدام التشبيه عندما شبه حنين الرياح وصوتها الشديد بحنين النوق عندما تفقد أولادها.

لقد حملت الأبيات السابقة دلالات تراود الشاعر ويعكسها على ناقته، ويحاول فيها أن يجعل من ناقته شاعرا آخر ، أو ذاتا أخرى تتجرد من الشاعر نفسه.

يقول ذو الرمة [٦٥] في لوحة جميلة:

ودوّيَّةٍ مثلِ السَّماءِ اعتسفتُها * وَقَدْ صبَغ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوادِ**

بِهَا مِنْ حَسِيس الْقَفْرِ صَوْتٌ كَأَنَّهُ* غناءُ أناسيٍّ بها وتنادِ**

فالشاعر في هذه اللوحة يريد أن يقول:

وفلاة مبسوطة كالسماء سرت فيها بصعوبة، وبلا هدى وقد صبغ الليل الحصى بسواده، وتلك الفلاة بها من الأصوات التي تتجاوب في القفار كأنها غناء يصدر عن بشر، أو نداء يصيح به فريق لفريق، فالشاعر يصور من خلال ذاته فليس

في تلك الفلاة أصوات، ولا غناء، ولا أناس يدعو بعضهم بعضا، ولكنها صورة ابتدعها الشاعر لتصوير وحشة الصحراء بصورة خيالية حركية.

*كأنما وجد ذو الرمة عشقه الحقيقي في الصحراء، فإذا هو ينقل مناظرها إلى شعره في لوحات رائعة، وكان ماهرا حقا في بث العواطف والحركات النفسية في الحيوان، فهو يصور الظبية وقد رمت بخشفها أو ابنها على الأرض أو الرملة ووقفت بعيدا كأنها تخشى إن مكثت معه أن تدل عليه السباع، فهي تبعد عنه وتنظر من حولها حذرا على ابنها، وإنها لتخالس النظر إليه، وهكذا تأخذها الشفقة عليه، فتبعد وهي المحبة، وتهجر وهي العاشقة، وقد امتلأ قلبها بالحنان والحب والشفقة ، فالشاعر يصور العواطف والحركات الوجدانية، ولذلك كانت لوحاته ناطقة تفيض بالحياة فصور التياعها من خلال تصوير نظراتها الحذرة مع إقامة مشهد كثير الحركة يوازي في حدّ ذاته حركة ذي الرمة النفسية واضطرابها وذلك عندما يقول:(٦٧)

إِذَا اسْتَوْدَعَتْهُ صَفْصَفاً أَوْ صَرِيمَةً * تَنَحّتْ وَنَصَّتْ جِيدَهَا بِالْمَنَاظِرِ**

حذاراً على وسنانَ يصرعهُ الكرى* بِكُلّ مَقِيلٍ عَنْ ضِعَافٍ فَوَاتِرِ**

وَتَهْجُرُهُ إِلاَّ اخْتِلاَساً نَهَارَهَا* وَكَمْ مِنْ مُحِبٍّ رَهْبَةَ الْعَيْنِ هَاجِرِ**

حذارَ المنايا خشيةَ أنْ يفتنها* بِهِ وَهْيَ إِلاَّ ذَاكَ أَضْعَفُ نَاصِرِ**

وصف الحيوان في ديوان ذي الرمة حديث نفس قبل أن يكون حديث حسٍّ، فقد حمّل الشاعر الحيوان مشاعر الإنسان عندما صور محبة الظبية لابنها، وكيف تخشى عليه السباع، فهي تبعد عنه حتى لا تدل عليه، وعينها مشدودة إليه، وقد امتلأ قلبها بالحب والحنان والشفقة، وقد برع ذو الرمة في هذا التخصص ، وفي بث مشاعر الإنسان وأحاسيسه في حيوانات الصحراء فقد اهتم بالتفاصيل

الدقيقة في وصفه لهذا الموقف بالإضافة إلى اهتمامه بالمنظور الخاص لكل صورة ولكل عنصر في هذا المشهد، فقد حرص على اختيار الزاوية التي يلتقط فيها بعدسته هذا المشهد لتخرج الصورة مستوفية لعناصر الجمال.

فظاهرة التخصص عند ذي الرمة تكمن في تخصصه في حب الصحراء فجعلها إطار في حبه لميّة، ومن ضمن وصفه لها أنها جميلة، مسنونة الوجه، طويلة الخد، شماء الأنف، عليها وسم ملاحة وجمال، ويزيد هذه الصورة في النفس تجسيما ما يسبغه ذو الرمة عليها من وصف فهي كما يقول:(٦٨)

براقة الجيد واللبّات واضحة* كأنها ظبية أفضى بها لببُ**

تزداد للعين إبهاجا إذا سفرتْ* وتحرج العين فيها حين تنتقب**

لميا في شفتيها حوة العس * وفي اللثات وفي أنيابها شنب**

ومية بعد مشرقة الجيد كالغزل مشرفة الوجه كالشمس ولكن أجمل ما فيها عيناها وابتسامتها عندما يقول:(٦٩)

لها جيدُ أمّ الخشفِ ريعتْ فأتلعتْ* ووجهٌ كقرنِ الشَّمسِ ريّانُ مشرقُ**

وَعَيْنٌ كَعَيْنِ الرِئْمِ فِيهَا مَلاَحَةٌ * هِيَ السحْرُ أَوْ أَدْهَى الْتِبَاساً وَأَعْلَقُ**

اعتمد ذو الرمة على الصورة الفنية وجعلها مقوما من مقومات صنعته، وقد عني بها عناية خاصة وشعره غني بالصور الفنية ، واللوحات الجميلة، خاصة فيما يخص الحب والصحراء.

ويقع ذو الرمة في نظمه بين تيارين:

١-التيار القديم: الذي يتمثل في البداوة من حيث اللغة، واللفظ، والتركيب، وهي بداوة فرضتها طبيعته وحياته، فهو شاعر من شعراء البادية، بالإضافة إلى

اتصاله بالشعر العربي القديم، والسير على طريقة القدماء في نظم الشعر في أفكاره ومعانيه عن الحب والصحراء، فقد تأثر بهم إلا أنه فاقهم في جعلها تنبض بالحياة.

٢-التيار الجديد: الذي يبرز في شعره، فهو وليد التغير والتحوير من خلال الألوان والأصوات والحركة والطاقة التي بثها في الصحراء وحيواناتها، بالإضافة إلى أنه يسقط عليها العناصر الدينية، حيث إنها أكثر العناصر ظهورا، أو أشدها تأثيرا فيه من حيث خلق الأفكار أو رسم الصورة البلاغية، أو صياغة عباراته مما أدى به إلى أن يغير الكثير من طباع الجاهلية التي ورثها في شعره، فأتى بطباع جديدة غير مألوفة في الشعر القديم، ويتضح في شعر الحب والصحراء.

كما أن الظاهرة التي تلفت النظر وتستحق التسجيل هي تلك الصورة الإسلامية التي خلعها ذو الرمة على الصحراء، فتحولت معها من صورتها الجاهلية القديمة إلى صورة إسلامية جديدة على حظ كبير من الطرافة، فهو يصف الأطلال، فيتحدث عما يراه فيها من المعالم المألوفة التي كثر حديث الشعراء القدماء عنها، ولكنه يضيف إليها شيئا جديدا، وهو آثار المسجد الذي كانت القبيلة تؤدي فيه شعائر الصلاة قبل رحيلها:(٧٠)

عَفَتْ غير آرى وأعضادِ مسجد * وسُفْعٍ مُنا خاتٍ رواحل مرجلِ**

ويصف الثور الوحشي وهو خائف من المطر ، وقد أخذ البرق يلمع من حوله، فيصوره كأنه قائم لله يبتهل إليه بأن يكشف عنه مخاوفه:

إذا انجلى البرق عنه قام مبتهلا * لله يتلو له بالنجم والطور** (٧١)

*والظاهرة الأخيرة في شعر ذي الرمة هي " الغرابة اللغوية " فهو في مجموع شعره يجنح إلى اللفظ الغريب والصورة الغريبة، وهي غرابة جاءته من طبيعة موضوعه البدوي الذي وهب فنه له وهو وصف الصحراء كما جاءته من اتصاله الوثيق بنماذج الشعر البدوي القديم أي يجمع بين عصرين من حيث البناء الفني واللغوي، فهو يدمج بين زمن الشاعر الموجود في العصر الأموي وبين زمن الشعر المعنوي الموجود ضمنا في العصر الجاهلي من حيث الألفاظ والمعاني والتراكيب والصورة والبناء القني للقصيدة العربية، لذلك يعد ذو الرمة ظاهرة خاصة متخصصة في عصر بني أمية.

الفصل الثاني : ظاهرة التخصص في النقد

*مدخل

المبحث الأول: الناقد المتخصص

المبحث الثاني: المرأة الناقدة

الفصل الثاني

ظاهرة التخصص في النقد

مدخل:

ارتقى النقد الأدبي في عصر بني أمية ارتقاءً محمودا، وكثر الخوض فيه، وتعمق الناس في فهم الأدب، ووازنوا بين شعر وشعر، وبين شاعر و آخر، فكان عهد النقد الصحيح يبتدئ من هذا العصر، وكل ما سبقه لم يكن غير نواة له، أو محاولات فيه " فالبيئات العربية التي نما فيها النقد الأدبي وازدهر في العصر الأموي هي نفس البيئات التي أخصب فيها الشعر وارتقى، وهذه البيئات على التحديد هي: بيئة الحجاز وباديتها، وبيئة العراق، وبيئة الشام أما ما عداها من بيئات الشعر العربي.... فلم يزدهر فيها في العصر الأموي أدب و لا شعر ولا نقد"(١).

ولذلك التقدم أسباب وعوامل لها علاقة بالأدباء الذين ينقدون الأدب سليقة وطبعا ومن أهمها:

١-ازدهار الشعر الإسلامي في أوجه، بالإضافة إلى كثرت الشعراء الذين شبوا في الإسلام، وعاشوا عيشة اسلامية، وكان هؤلاء الشعراء من أقطار مختلفة، و من بيئات مختلفة، ومن نزعات سياسية مختلفة، ومن مذاهب أدبية مختلفة ، مثل:" عمر بن أبي ربيعة في مكة، والأحوص وعبيد الله بن قيس الرقيات في المدينة، وجميل بن معمر وذي الرمة في البادية، وجريرا والفرزدق في العراق، والأخطل في بلاد الجزيرة، والكميت الإسدي في الكوفة، والطرماح بن حكيم وعدي بن الرقاع في الشام، وهؤلاء إسلاميون جميعا ، وقد نضجت ملكاتهم الشعرية فكثر الكلام فيهم والموازنة بينهم، وكانوا مادة فسيحة للنقد الأدبي"(٢).

٢-ثم إنّ النقد في هذا العصر كثرت بيئاته في البادية والحواضر الإسلامية فكان عاملا مساعدا في ازدهار النقد في هذا العصر.

٣-وعامل ثالث قوّى النقد وهو رجوع العصبية القبلية إلى عهدها الجاهلي أو أشد فقد" قويت الخصومة بين الشعراء ، وفشا التهاجي بينهم، وأمد بنو أمية ذلك اللهب بالوقود، وزاده اشتعالا ما تأصل في نفوس العرب من حب الفخر والمباهاة" (٣).

وهذه العصبية التي دعت إلى الهجاء والخصومة دعت كذلك إلى أن يشتغل الناس بالشعر والشعراء، يستمعوا لهذا وذاك، ويترقبوا نقيضة شاعر لآخر، وهذا أدى إلى النقد و إلى الحكم، والموازنة والمفاضلة بين جرير و الفرزدق وأيهما أشعر؟ بالإضافة إلى أن من القبائل من كان حريصا كل الحرص على أن يمجد شاعرا له، ويعتز به لدى القبائل الأخرى.

" فقريش كانت تتعصب لعمر بن أبي ربيعة؛ لتعوض به قلة شعرها في الجاهلية، او لتضيف إليها مجدا آخر في الإسلام، وكانت تتعصب للأخطل وتأبي إلا أن يكون ندّا لصاحبيه من تميم"(٤).

٤-الغناء ساعد على ازدهار الشعر والنقد وتطور أوزانه وأعارضه، فكل هذه العوامل وغيرها تضافرت على خلق روح جديدة في النقد في عصر بني أمية، وعلى تحليل صياغة الشعر ومعانيه ورجاله تحليلا فيه عمق، وفيه نظرة متنوع، وفيه اختلاف في الذوق والحكم.

***حركة النقد في بيئة الحجاز:**

نهض الشعر الحجازي وتطور في عصر بني أمية، وقد غلب عليه الغزل الحضري والبدوي، وقد استتبعت هذه النهضة الشعرية في بيئة الحجاز نهضة

في النقد، تدل إلى حد ما على رقي في الذوق ، واتساع في الأفق والنظر، والتفات إلى بعض جوانب النقد التي لم يلتفت إليها السابقون.

والمطلع على النقد الأدبي في هذه البيئة سيدهشه ما يرى من اهتمام عام بالنقد على جميع المستويات ، وبين مختلف الطبقات، فالنقد في هذه البيئة أسهم فيه كلا من الرجال والنساء ، والشعراء وغير الشعراء، كل على قدر ذوقه ، وفهمه، وروحه، ونوع ثقافته.

و لعل هذا الاهتمام الذي يدور حول النقد ناتج عن الاقبال والاهتمام بالشعر ذاته، وما يدور حوله من جدل ونقاش بين الناس أنفسهم في مجالسهم ومنتدياتهم ساعد على إثراء النقد في هذه الفترة.

وكان للنقد في بيئة الحجاز صور:

١-نقد الشعراء بعضهم بعضا: ولعل أوفاهم نصيبا هو عمر بن أبي ربيعة، فقد أبدى معاصروه رأيهم في شعره ونقدهم له، وهم:

أ- نصيب يقول عنه: "لعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربّات الحجال"(٥).

ومعنى قوله: إن عمر أحسن معاصريه وصفا لمحاسن المصونات من القرشيات وغيرهم من نساء بيوتات العرب، فلم يُعرف في عصر بني أمية كله شاعرا وصف المرأة وأحسن وصفها منه، والذي ينظر في ديوان عمر يجده مصادقا لقول نصيب.

ب- وسمع الفرزدق شيئا من تشبيب عمر فقال:" هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ، ووقع هذا عليه"(٦).

فرأي الفرزدق في عمر واضح ، "يريد أن يعزو إلى ابن أبي ربيعة نشأة الغزل كما ينبغي أن يكون، وأن ما سبقه من غزل لم يكن إلا محاولات قام بها الشعراء في سبيل اكتشاف هذا الغزل فأخطأت طريقه وبكت الديار واكتشفه عمر"(٧).

جـ- جميل بن معمر ورأيه في شعر عمر بن أبي ربيعة، حين اجتمع الشاعرين بالأبطح، فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها:

لَقَد فَرِحَ الواشونَ أَن صَرَمَت حَبلي* بثَينَةُ أَو أَبدَت لَنا جانِبَ البُخلِ**

يَقولونَ مَهلاً يا جَميلُ وَإِنَّني * لَأُقسِمُ ما لي عَن بُثَينَةَ مِن مَهلِ**

" حتى أتى على آخرها، ثم قال لعمر: يا أبا الخطاب هل قلت في هذا الروي شيئا؟ قال نعم، فأنشدنيه، فأنشده قصيدته التي مطلعها:

جرى ناصح بالود بيني وبينها* فقرَّبني يوم الحِصاب إلى قتلي**

فقال جميل: هيهات يا أبا الخطاب! لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي! والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحد! وقام مشمرا"(٨).

فجميل بن معمر يرى أن الفرق شاسع بينه وبين عمر في الغزل، ولهذا يفضله على نفسه فيه ثم يحكم له بالتفوق على سائر الشعراء في قدرته على مخاطبة النساء والحديث إليهن.

والذي ينظر إلى آراء الشعراء في شعر عمر بن أبي ربيعة يجدهم قد حكموا ببراعته في شعره و خصوصا أنه قد جدد في شعر الغزل، واستحدث فيه اتجاها غير مسبوق، في أنه برع في وصف النساء والتحدث إليهن، كما برع في قلب الأدوار من شاعر يتغزل بمحبوبته إلى محبوبة الشاعر هي التي تتغزل به مخالفا بذلك شعراء عصره.

٢-المفاضلات بين الشعراء:

وهي الصورة الثانية من صور النقد في بيئة الحجاز، حيث نرى المفاضلات و الموازنات بين الشعراء تتطور إلى حد كبير، وذلك بالالتفات عند المفاضلة أو الموازنة إلى جوانب من الشعر لم يكن النقاد السابقون ينظرون إليها، حيث تطرقوا إلى الموازنات الشعرية إلى" الصدق الشعوري" في المعنى والعاطفة، وإلى الشعر الذي يوحيه العقل والمنطق والشعر الذي يوحيه القلب والعاطفة، وتفضيل القلب والعاطفة على الأول، ومما يجعل هذا النقد يختلف عما سبق من العصر الجاهلي وصدر الإسلام أن التفضيل يبنى على أحكام معللة، وقد تشعب القول في النقد، وتعددت نواحيه بتعدد الأغراض التي برزت في هذا العصر، فهناك الغزل في بيئة الحجاز الذي ظهرت بشكل ملحوظ.

٣-ومن صور النقد كذلك مآخذ بعض النقاد والأدباء على الشعراء ، أو مآخذ الشعراء بعضهم على بعض، هذه المآخذ لامست جوانب مختلفة من الشعر، تدل على اتساع مجال النقد في بيئة الحجاز وتطوره عما كان عليه في الجاهلية وصدر الإسلام، كما أن ظاهرة التخصص في النقد في بيئة الحجاز تمثلت أيضا في هذه البيئة بوجود:

أ-الناقد المتخصص.

ب-المرأة الناقدة.

المبحث الأول: ظاهرة الناقد المتخصص

ظاهرة جديدة في بيئة الحجاز في العصر الأموي، أن نواجه ناقد متخصص في فن الغزل يعرف عيوبه ومزاياه، فمن النادر أن نجد الناقد المتخصص الذي يقول فتسمع كلمته، والذي يحكم فيقبل حكمه!

يعد ابن أبي عتيق أكبر شخصية ناقدة متخصصة في بيئة الحجاز في عصر بني أمية ، و أُثِر عنه الكثير من النقد.

وقد تميز نقده بالعمق والدقة والاستقصاء، فقد استحكمت أدواته وتعمقت تجربته؛ لأنه لا يقول إلا صدورا عن وعي عميق، وثقافة غزيرة، واطلاع وفير، ويتطلب من الناقد الموهوب أن يكون على حظ كبير من العقل والذوق، ورهافة الحس، فعملية التخصص تكسب النقد دقة وموضوعية تكون دائما موضع ثقة.

وابن أبي عتيق كان شاعرا من شعراء الغزل في بيئة مدن الحجاز ، بالإضافة إلى أنه أشهر ناقد عُرف بتخصصه في نقد هذا اللون من الشعر، فقد ملأ الحجاز بنقده، و كان يصوغه في أسلوب تهكمي ساخر، يصل به إلى غاية ما يريد ، ويكشف به عن مواطن الضعف و المآخذة في لمحة خاطفة ذكية مرحة.

ابن أبي عتيق : هو عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة، وأبوه وجده من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول عنه المبرد[٩] في كتابه:" وكان ابن أبي عتيق من نُسَّاك قريش و ظرفائهم، بل كان قد بذّهُمْ ظرفا".

ويقول عنه جرجي زيدان(١٠):"أول من تجرأ من شعراء قريش –على التشبيب منهم ابن أبي عتيق– وهو ابن حفيد أبي بكر الصديق، ويقولون أنه كان طاهرا عفيفا يشبب من غير ريبة، ثم عمر بن أبي ربيعة من قريش....".

***العوامل التي ساعدت على أن يكون ابن أبي عتيق ناقدا متخصصا في شعر الغزل في بيئة الحجاز:**

١–أنه شاعر من شعراء النسيب، فهو أول من تجرأ على التشبب من شعراء قريش.

٢–علاقته القوية التي تربط بينه وبين الشعراء، مثل عمر بن أبي ربيعة وصداقته له، وعلاقته بكثير عزة، وجميل بثينة، وغيرهم من شعراء الحجاز.

٣–شخصيته المرحة، وروحه المعبرة عن حياة الحجاز المرحة اللاهية.

٤–ثقافته ومعرفته بمواطن الجمال في شعر الغزل خاصة.

٥–تخصصه في نقد شعر الغزل في بيئة الحجاز جعله ناقدا فذا، مما ساعد عل تطور وازدهار النقد في هذه البيئة، فقد كانت لآرائه الثاقبة وملاحظاته أثر ملحوظ في تطور النقد ورقيه، فقد كان نقدا نزيها بناء، يهدف منه التصحيح والتوجيه.

لقد ملأ ابن أبي عتيق الحجاز في عصره نقدا ظريفا لكثير من الشعراء، وكان يعتمد في نقده على ذوق مرهف، وحس مترف، وبصيرة نافذة في التمييز بين جيد الشعر و ردئيه.

كما كان وثيق الصلة بالحياة الأدبية في عصره، فقد كان شاعرا عارفا بتياراتها واتجاهاتها، ويمثل الروح الحجازية بما فيها من رقة وظرف، وقد تعقب ابن أبي عتيق شعر عمر بن أبي ربيعة بالنقد و الموضوعية، ومما

يلاحظ على نقد ابن أبي عتيق سواء ما اتصل منه بشعر عمر بن أبي ربيعة أو شعر غيره من معاصريه أنه كان نقدا نزيها بنَّاء ؛يهدف من ورائه إلى التصحيح والتوجيه، وكان لآرائه الثاقبة وملاحظاته الذكية أثر ملحوظ في تطوير النقد ورقيه، وأكثر ما أثر من آرائه وملاحظاته النقدية متصل بشعر عمر بن أبي ربيعة، وربما يكون ذلك للصداقة التي كانت بينهما " وقد كان يجمع بين عمر بن أبي ربيعة الشاعر وابن أبي عتيق الناقد صداقة متينة، وإعجاب متبادل"(١١).

***صور من النقد عند ابن أبي عتيق:**

١-الشعر الجيد: إن الشعر في نظره " هو الذي يعبر في قوة وصدق عن عاطفة صاحبه، ويؤثر كذلك في عواطف سامعيه، ويكون له موقع في القلب ، وعلوق في النفس، وأن يكون بليغا في الوفاء بغرضه والتعبير عنه"(١٢).

فابن أبي عتيق نقد عمر بن أبي ربيعة وقال عنه" لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب، وعلوق بالنفس، ودرك للحاجة"(١٣).

فقد كان للشعور أهمية عند ابن أبي عتيق، وذلك للصلة الوثيقة بين العواطف القوية وبين الشعر الذي يصدر عنها، فقد أدرك ابن أبي عتيق دور العاطفة وأثرها في جمال الشعر وقيمته.

وقد ذُكر شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق ففضل رجل الحارث على عمر، فرد عليه ابن أبي عتيق ، وكان مما جاء في رده:" أشعر قريش من دقّ معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته"(١٤).

فكلام ابن أبي عتيق هنا أشبه بكلام المحدثين في الألفاظ والمعاني، والبدء والختام، فابن أبي عتيق يحكم لعمر بن أبي ربيعة بأنه أشعر شعراء قريش ، ثم يردف هذا الحكم بأسبابه، وتتمثل هذه الأسباب في تحديد الخصائص والسمات التي امتاز بها شعر عمر بن أبي ربيعة وهي:

١-دقة المعنى ٢-لطف المدخل ٣-سهولة المخرج

٤-متانة الحشو ٥-تعطف الحواشي ٦-إنارة المعاني.

٧ -الإعراب عن الحاجة.

ومن هذه السمات ما يمت إلى المعاني من حيث دقة المعنى، وإنارة المعاني، وأن يكون المعنى يعبر عما يجول في ذهن الشاعر، ومنها ما يمت إلى الألفاظ من حيث رقتها، وسهولتها، ودلالتها، ومنها ما يمت إلى إصابة الغرض والمعنى والهدف الذي يريده الشاعر.

وهذا يدل على إدراك ابن أبي عتيق للشعر وأفانينه، ويظهر من النص السابق أن النقد في العصر الأموي قد بدأ يتجه نحو الأحكام المعللة ، فابن أبي عتيق علق بقوله عن عمر بن أبي ربيعة بأنه " أشعر شعراء قريش"، ولم يقل هذا إلا لأنه تذوق هذا الشعر ، وعرف معانيه ومقاصده التي أرادها الشاعر، ويدل ذلك على حكم واعي مدرك لما يقول.

٢-الصورة الثانية: المفاضلة بين الشعراء في الموضوع الواحد:

لقد أدرك ابن أبي عتيق أهمية الإيحاءات الشعرية كعنصر من عناصر النقد، فما يُحسب للشعر في ميزان النقد أن يوحي بالمعاني السارة لا المعاني المؤلمة، أو التي تدعو إلى التطير، فالمفاضلة التي قام بها ابن أبي عتيق

بين الحارث بن خالد وعمر بن أبي ربيعة في موضوع واحد هو ربْع الحبيبة أو منزلها.

عندما قال المفضّل[١٥] للحارث بن خالد على عمر :" أليس صاحبنا الذي يقول:

إني وما نحروا غداة مِنى * عند الجمار يودها العقلُ**

لو بدلت أعل مساكنها * سُفلا وأصبح سُفْلها يعلُو**

فيكاد يعرفها الخبير بها * فيردُّه الإقواءُ والمحْلُ**

تعرفتُ مغناها بما احتملت * منِّي الضلوعُ لأهلها قبلُ**

فعلق ابن ابي عتيق على ذلك بقوله:" يا ابن أخي ، استر على نفسك، واكتم على صاحبك، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا، أما تطّير الحارث عليها حين قلبَ ربعها فجعل عاليه سافله؟ ما بقي إلا يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجيل، إنّ ابن أبي ربيعة كان أحسن صحبة للربع من صاحبك، وأجملَ مخاطبة حيث يقول:

سائِلا الرَبعَ بِالبُلَيّ وَقولا* هِجتَ شَوقاً لَيَ الغَداةَ طَويلا**

أينَ حَيٌّ حَلّوكَ إِذ أَنتَ مَحفو* فٌ بِهِم آهِلٌ أَراكَ جَميلا**

قالَ ساروا فأمنعوا فَاِستَقَلّوا * وَبِرُغمي لَوِ اِستَطَعتَ سَبيل**

سَئمونا وَما سَئمنا مقاما * وَأَحبوا دماثَةً وَسُهولا"**

فابن أبي عتيق فاضل بين عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد في موضوع واحد، ولكن الحارث بن خالد أساء، وعلق ابن ابي عتيق وعلل هذا الحكم

بقوله:" أما تطير الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله! ما بقي إلا أن يسأل الله تبارك وتعالى حجارة من سجيل".

فقد فطن ابن أبي عتيق إلى الإيحاءات الشعرية" كعنصر من عناصر النقد، فمما يحسب للشعر في ميزان النقد أن يوحي بالمعاني السارة لا المعاني المؤلمة، أو التي تدعو إلى التطير، كما الشأن بالنسبة لأبيات الحارث بن خالد ، فعمر بن أبي ربيعة في رأي ابن أبي عتيق أفضل في تناول هذا الموضوع؛ لأنه في رأيه" كان أحسن صحبة للربع من صاحبك وأجمل مخاطبة"(١٧).

فنقد ابن أبي عتيق يغلب عليه روح الفكاهة والتهكم التي عن طريقها يصل إلى مبتغاه.

فعمر بن أبي ربيعة أحسن في التعبير عن علاقته بربع الحبيبة أو منزلها، فيتوجه إليه بالخطاب كما لو كان يخاطب صاحبته وجها لوجه، هذا الذي لم يستطع الحارث بن خالد أن يصل إليه ، لذلك تفوق عمر وعدّه" أشعر شعراء قريش".

٣-الصورة الثالثة: صدق الشعور عنصر من عناصر جمال الشعر:

على الشاعر أن يكون أمينا مع نفسه، وعواطفه، فلا يعبر إلا عما يشعر به حقا فقد" حضر ابن أبي عتيق لعمر بن أبي ربيعة وهو ينشد:

وَمَنْ كَانَ مَحْزُوناً بِإهْرَاقِ دمعة * وهى غربها، فليأتنا نَبْكِهِ غدا**

نعنهُ على الإثكالِ إن كان ثاكلاً* وإنْ كَانَ مَحْزُوناً وإنْ كَان مُقْصَدا**

قال: فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالدا الخرّيت، وقال له: قم بنا إلى عمر، فمضينا إليه فقال له ابن أبي عتيق: قد جئناك لموعدك، قال : وأي

موعد بيننا؟ قال قولك:" فليأتنا نَبْكِهِ غدا" قد جئناك، والله لا نبرح أو تبكيَ إن كنت صادقا في قولك، أو ننصرف على أنك غير صادق، ثم مضى وتركه"(١٨).

فابن أبي عتيق نقد عمر بن أبي ربيعة على أنه لم يكن صادق الشعور والعاطفة، وقد صب ابن أبي عتيق هذا النقد في قالب من السخرية يريد أن يوجّه عمر وغيره من الشعراء إلى أن الصدق الشعوري عنصر من عناصر الشعر.

٤-الصورة الرابعة: غموض المعنى

من عيوب المعاني" الغموض" وابن أبي عتيق تنبه لذلك ، فهو يؤثر في المعاني وضوح الدلالة وانكشاف المقصود وظهوره بلا لبس ولا غموض، فقد " التفت ابن أبي عتيق في نقده إلى غموض المعنى وعدّه عيبا في الشعر، ومن هذا القبيل نقده لعبيد الله بن قيس الرقيات في بيته الذي يقول فيه:

تقدَّتْ بيَ الشهباء نحو ابن جعفر* سواءٌ عليها ليلُها ونهارها**

قالوا: أن ابن قيس الرقيات مرّ به فسلّم عليه ، فقال له ابن أبي عتيق : وعليك السلام يا فارس العمياء، فقال له : ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد بأبي أنت؟ قال: أنت سميت نفسك حيث تقول:" **سواءٌ عليها ليلُها ونهارها**" فما يستوي الليل والنهار إلا على عمياء، قال : إنما عنيت التعب، قال : فبيتك هذا يحتاج إلى ترجمان يترجم عنه"(١٩)

هذا البيت مما عيب على ابن قيس الرقيات عند كثير من النقاد؛ لأنه نقض صدره بعجزه كما قال الزبير:" هذا البيت مما عيب على ابن قيس؛ لأنه نقض صدره بعجزه، فقال في أوله: سار سيرا بغير عجل، ثم قال:" سواء

عليها ليلها ونهارها" ، وهذا غاية الدّأب في السير، فناقض معناه في بيت واحد"[٢٠].

***مآخذ ابن أبي عتيق على بعض الشعراء:** منها:

١-جهل بعض الشعراء بما يستحسنه المحب أو لا يستحسنه من طبائع النساء وصفاتهن.

زار ابن أبي عتيق في المدينة مرة كثير عزة " فاستنشده فأنشده كُثير قصيدته التي مطلعها:

أبائنة سعدَى ؟ نعم ستبين* كما انْبثَّ من حبل القرين قرينُ**

حتى بلغ قوله:

وأخلفنَّ ميعادي وخنَّ أمانتي * وليس لمن خان الأمانة دينُ**

فقال له ابن أبي عتيق: أعلى الأمانة تَبِعْتها؟ فانكف واستغضب وصاح وقال:

كذبنَ صفاءَ الوُدِّ يوم محلّه* وأنْكدْنَنِي مَن وعدهنَّ دُيونُ**

فقال له ابن أبي عتيق : ويلك! ذاك والله أشبه بهن وأملح لهن وأدعى للقلوب إليهن، وإنا يوصفن بالبخل والامتناع، وليس بالأمانة والوفاء.

وابن قيس الرقيات كان أعلمَ منك وأوضع للصواب موضعه فيهن، أما سمعت قوله:

حَبَّ ذاكَ الدَلُّ والغُنُجُ* والتي في عينها دَعَجُ**

والتي إن حدّثتْ كذبتْ* والتِي فِي وعدِها خَلَجُ**

خبِّروني هل على رجلٍ* عاشقٍ في قُبلةٍ حَرَجُ؟**

فقال كُثيّر للسائب راويته الذي كان معه: قم بنا من عند هذا؟ ثم نهض"[٢١].

فابن أبي عتيق هنا وازن بين كثيّر وابن قيس الرقيات في الغزل والحكم لابن قيس الرقيات بأنه أكثر من كثيّر علما بطبائع النساء ، وأوضع للصواب مواضعه فيهن.

وقد كان لهذه الموازنة أثرها في توضيح الخطأ وإبرازه مما يجعل النقد عملا إيجابيا في أنه بناء وتوجيه وتسديد.

٢-أخذ على الشاعر " المبالغة في المعنى":

المبالغة في المعنى تبعد الشعر عن الصدق وتدنيه من الكذب

" أنشده نُصيب قوله:

وكذْتُ – ولم أخْلَق من الطير- إن بدا * لها بارقٌ نحو الحجاز أطيرُ!**

فقال له ابن أبي عتيق في أسلوب تهكمي ساخر: يا ابن أمَّ :"غاق" فإنك تطير! يعني أنه غراب أسود"[٢٢].

٣-لقد فطن ابن أبي عتيق إلى دور العاطفة وأثرها في جمال الشعر وقيمته والحكم عليه فأجمل الشعر عنده وأجوده في نظره ما عبّر في قوة وصدق عن عاطفة صاحبه، وأثر في عواطف سامعيه، فابن أبي عتيق يؤثر الشعر الذي ينبعث عن القلب لا عن العقل، لذلك فضل غزل عمر بن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات على كثيّر؛ لأنهما يصدران في غزلهما عن عاطفة صادقة، على حين يصدر غزل كثيّر عن عقل ومنطق، الأمر الذي يدل على أنه يستوحي عقله لا قلبه.

" أنشد كثيّر ابن أبي عتيق كلمته التي يقول فيها:

ولست براضٍ من خليل بنائلٍ* قليل ولا أرضى له بقليل**

فقال له: هذا كلام مكافئ ليس بعاشق!

القرشيان أقنع وأصدق منك:

ابن ربيعة حيث يقول:

ليت حظي كلحظة العين منها* وكثير منها القليلُ المهنّا**

وقوله:

فعدِ نائلا وإن لم تنيلي* إنه يقنع المحبَّ الرجاءُ**

وابن قيس الرقيات حيث يقول:

رُقيَّ بعيشكم لا تهجُرينا ***ومنِّينا المنى ثم امطُلينَا

عدينا في غدٍ ما شئت إنَّا * نحب وإن مَطَلْتِ الواعدينَا**

فإمَّا تُنجزي عِدَتي وإمّا * نعيش بما نؤمِّل منك حينَا** (٢٣)

*كما عاب ابن أبي عتيق على عمر بن أبي ربيعة في غزله من أنه يخالف العرف المتبع في الغزل، فينسب بنفسه بدلا من أن ينسب بالمرأة، فقد عاب هذا اللون من الغزل الذي يصوّر فيه الشاعر نفسه على أنه المعشوق لا العاشق، والمطلوب لا الطالب، ورأى فيه ابن أبي عتيق نوعا من الانحراف ينافي الطبيعة التي تحكم العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة " أنشده عمر مرة قوله:

بينما ينعتنني أبصرنني* دون قيد المِيل يعدُو بي الأغرُّ**

قالت الكبرى أتعرفن الفتى ** قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيَّمْتها ** قد عرفناه وهل يخفى القمر

فقال له ابن أبي عتيق: أنت لم تنسبُ بها، وإنما نسبت بنفسك!

كان ينبغي أن تقول: قلت لها: فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه"[٢٤].

فابن أبي عتيق ير أن عمر بن أبي ربيعة واقع في حب نفسه، مفتون بها، يظن أنه يتغزل في المرأة، وهو في الحقيقة يتغزل في نفسه، وهذا يخالف العرف المتبع في الغزل؛ لأن المرأة إنما توصف بالخفر وأنها مطلوبة ممنعة.

" ومن أجل هذا قال له ما قال ؛ تقويما لما يراه من انحراف في اتجاه الغزل مناف لطبيعته وصدقه، وإذا كانت المرأة هي موضوع الغزل ومعبودة الشاعر، فإن عليه إن كان محبا حقا وصادقا في عاطفته حقا ألا يبتذلها ، ويُرخِّصَ عواطفها، و يجعلها تتهالك عليه!"[٢٥].

وقد أدرك هذا العيب في شعر عمر بن أبي ربيعة كثير من النقاد، ذلك أن ثقافة ابن أبي عتيق واضطلاعه على فنون الشعر في الغزل جعله ناقدا متخصصا في هذا النوع من الشعر؛ لأن الناقد المتخصص لا يقول إلا صدورا عن وعي عميق، وثقافة غزيرة في هذا الفن، واطلاع وفير، وقد ساعد هذا على تطور النقد في بيئة الحجاز، كما ساعد على إثرائه و إغنائه.

المبحث الثاني: المرأة الناقدة

ساهمت المرأة الحجازية في العصر الأموي في إثراء الحركة النقدية في هذه البيئة المتطورة، فتخصصت في نقد الشعر وتشجيعه.

وتعد هذه ظاهرة جديدة في بيئة الحجاز ، وجود المرأة الناقدة التي تمثل الثقافة والحضارة الحجازية.

ومن العوامل التي ساعدت على وجود المرأة الناقدة في بيئة الحجاز دون غيرها من البيئات في العصر الأموي:

١-الحرية الاجتماعية التي كانت تتمتع بها المرأة الحجازية في هذه البيئة دون غيرها.

٢-كانت ذات موهبة قادرة على تذوق مواطن القوة والجمال الأدبي في النص والكشف عنها.

٣-خبيرة بالأدب عالمة بفنونه، ضليعة فيه، واسعة الاطلاع عليه، مخالطة لأدبائه وشعرائه، عارفة بطرقه ومناهجهم و اتجاهاتهم.

٤-متجردة من استبداد الهوى، معتدلة في حكمها، جاعلة الحق وصواب الرأي هدفها وغايتها.

٥-معظم هذا النقد قد جاء منصبا على نقد المرأة للرجل وهذه تعد ظاهرة في هذه البيئة الحجازية.

٦-الحياة الاجتماعية والاقتصادية لعبت دورها في وجود المرأة الناقدة نتيجة للانفتاح والحرية الاجتماعية، بالإضافة إلى حياة الترف والغنى، مما جعلها

لديها وقت فراغ كبير لكي تقوم بسماع الشعر وتذوقه، بالإضافة إلى وجود المجالس الأدبية لديهن.

فهذه الحركة النقدية النسائية في العصر الأموي ، وخاصة في بيئة الحجاز كان لها جذورها في العصر الجاهلي تمثلت في " أم جندب" المرأة الناقدة، حيث ذكرت المصادر أن امرأ القيس وعلقمة بن عبده " علقمة الفحل" تنازعا أيهما أشعر، فقال كل واحد منهما: أنا أشعر منك، فقال علقمة: قد رضيت بامرأتك أم جندب حكما بيني وبينك فحكّماها، فقالت أم جندب لهما: قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروي واحد.

فقال امرؤ القيس:

خليليّ مرّ بي على أم جندب * نُقَضّ لبانات الفؤاد المعذبِ**

وقال علقمة:

ذهبتَ من الهجرانِ في كل مذهبِ* ولم يكُ حقا كلُّ هذا التجنُّبِ**

فأنشداها جميعا القصديتين ، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال : وكيف؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوط ألُهوبٌ وللساقِ درّةٌ* وللزّجر منه وقعُ أخرج مهْذب**

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، ومريْتَهُ فأتبعته بساقك.

وقال علمقة:

فأدركَهَنّ ثانيا من عنانه* يمرّ كمرِّ الرائح المتجلّبِ**

فأدرك طريدته وهو ثان من عِنانِ فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره.

فقال : ما هو بأشعر مني ، ولكنك له عاشقة، وطلقها فخلف عليها علقمة، فسمي الفحل لذلك" (٢٦).

لقد التفتت أم جندب في نقدها إلى الصورة الشعرية من حيث قدرة الشاعر أو عدم قدرته على أدائها.

" فأم جندب قد قارنت بين صورتين شعريتين: صورة فرس امرئ القيس الذي راح يزدره ويضربه ويستحثه على العدو؛ لكي يدرك طريدته، وصورة فرس علقمة الذي أدرك طريدته وعلقمة ثان من عنانه ، لم يضربه بسوط، ولا مراه بساق، ولا زجره، ولا شك أن صورة علقمة أوضح وأكمل وأجمل"(٢٧).

لقد أصدرت أم جندب حكمها معللا؛ حتى تنفي عن نفسها شبهة التحيز التي تطعن في عدالة الحكم، ومع هذا اتهمها زوجها بالتحيز لعلقمة.

فكان إيذانا بوجود المرأة الناقدة منذ العصر الجاهلي، ثم وجدنا هذه المرأة في عصر بني أمية في بيئة الحجاز دون غيرها متمثلة في سكينة بنت الحسين، وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، وعزة صاحبة كثير وبثينة صاحبة جميل.

١-سكينة بنت الحسين:

السيدة سكينة هي بنت الحسين بن علي بن طالب" كانت سيدة نساء عصرها ، ومن أجمل النساء و أظرفهن ، وأحسنهن أخلاقا، وقد عرفت بذوقها الأدبي، ونقد الشعراء و الغناء، وكان الشعراء و الأدباء والمغنون ورواة الشعر يختلفون إلى مجلسها ويتحاكمون إليها، فتنقدهم وتجيز الشعراء على ما تراه حسنا من قولهم"(٢٨).

تحتل السيدة سكينة المرتبة الثانية بعد ابن أبي عتيق من حيث الاهتمام بالشعر ونقده، فقد كانت تتذوق الشعر وتعرف معانيه، فهي تعتمد على ثقافة واسعة ، ومعرفة تامة بألوان الشعر وفنونه، وقد امتازت السيدة سكينة بالجدية في نقدها فلا نجد محاباة لشاعر دون الآخر، كما تمتاز بالدقة في اختياراتها للنصوص الشعرية التي تنتقدها.

وعند النظر في النصوص التي تقوم بنقدها نجد أنها تميل إلى النصوص الشعرية التي تدور حول غرض الغزل، فكأنها متأثرة في بيئتها بهذه الظاهرة، ظاهرة التخصص في لون الغزل في بيئة الحجاز، فأغلب نقدها يدور حول الغزل.

*وكان لها مع الشعراء وغيرهم نوادر وحكايات ظريفة، " ومن ذلك ما يروى أنها وقفت على عروة بن أُذينة –وكان من أعيان العلماء، وكبار الصالحين، وله أشعار رائقة– فقالت له:

أنت القائل:

إذا وجَدْتُ أُوارَ الحُبِّ في كَبِدِي* أقبلتُ نحو سقاءِ الماء أتبردُ**

هَبْنِي بَرَدْتُ بِبَرْدِ الماءِ ظاهِرَهُ* فَمَنْ لنارٍ على الأحْشاءِ تَتَّقِدُ**

فقال لها: نعم، فقالت وأنت القائل:

قالت و أبثثتها سرّي فبحتُ بهِ*قد كنتَ عندي تحبُّ السِّتر فاستترِ**

ألستُ تبصرَ من حولي فقلت لها*غَطَّى هَواكِ وما أَلْقَى على بَصَرِي**

فقال: نعم، فالتفتت إلى جوار كنَّ حولها وقالت: هن حرائر إن خرج هذا من قلب سليم قط"[٢٩].

لقد بينت سكينة أن عروة بن أذينة كان صادق الود، دائم العهد، وهذا النص الشعري يدل على شعر نابع من قلب محب عاشق متيم، لذلك قالت عبارتها، فهذا الشعر لا يخرج من قلب سليم وإنما يكون من شاعر محب مغرم، لذلك أتى بهذه المعاني التي تدل على شدة الوجد والحب.

*ومن نقد سكينة بنت الحسين الذي يدل على ذوقها الأدبي وحرصها على التزام الشاعر بالصدق والبعد عن المبالغة التي تبعده عن الصدق ، وتدنيه من الكذب، وذلك عندما قالت لكثير حين أنشدها قصيدته التي أولها:

أشاقكَ برقٌ آخرَ الليلِ واصبُ* تضمّنهُ فرْشُ الجَبَا فالمَسَارِبُ**

تألَّقَ واحمومى وخيَّمَ بالرُّبى* أحمُّ الذُّرى ذو هيدبٍ متراكبُ**

إذا زعزعته الريحُ ارْزمَ جانبٌ*بلا خلفٍ مِنه وأوْمضَ جانِبُ**

وَهبْتُ لسُعدى ماءهُ وَنَبَاتَهُ*كما كُلُّ ذي وُدّ لِمَنْ وَدَّ وَاهِبُ**

لتروى به سعدى ويروى صديقها*ويُغْدِقَ أعدادٌ لها ومشارِبُ**

أتهب لها غيثا عاما جعلك الله والناس فيه أسوة؟ فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصفتُ غيثا فأحسنته، وأمطرته، وأنبته ، وأكملته، ثم وهبته لها.

فقالت: فهلا وهبت لها دنانير ودراهم"(٣٠).

أجاد كثير وصف الغيث واختيار الصفات التي تعطي الصورة جمالا ، ولكن في نظر سكينة الناقدة رأت أنه لم يحسن اختيار الوصف المناسب للغرض الذي أراده؛ لأنه ليس هناك علاقة أو مناسبة بين هذا الوصف ومحبوبته، فقد بالغ مبالغة أبعدته عن الصدق ، فقد وهب محبوبته شيئا لا يملكه.

وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه، وأحسن منه ما أصاب الحقيقة.

***النقد المعلل:**

١-وتسمع نصيبا يقول:

أهيم بدعدٍ ما حييتُ فإن أمت*فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي؟**

فتعيبه بأنه صرف رأيه وهمه إلى من يعشقها بعده، وتُفضّل أن يقول:

أهيم بدعدٍ ما حييتُ فإن أمت* فلا صلحتْ دعدٌ لذي خلَّةٍ بعدي**

وكذلك تسمع الأحوص يقول:

مِنْ عاشقين تواصلا وتواعدا* ليلا إذا نجمُ الثريا حلَّقا**

باتا بأنعم عيشة و ألذِّها* حتى إذا وضح النهار تفرقا**

فتقول : كان الأولى أن يقول: تعانقا بدل تفرقا"[٣٢].

فنجد هنا أن نقد سكينة نقدٌ مبني على الدلالة اللغوية والبعد الدلالي للغة، وهو يتصل هذا بعمق المعنى الكلي للصورة والتي يعبر بها، وهذا الجانب تطرق إليه عبد القاهر في نظرية النظم عندما فسر قوله تعالى:(هل من خالق غير الله يرزقكم)، بين أن الله استعمل الفعل المضارع وهو أعمق وأكثر التحاما بالمعنى من استعمال صيغة أخرى للفعل أو الاسم فقال : إن للمضارع دلالة على الاستمرارية وتجدد الحال وهذا يليق بالمعنى، وكذلك استخدام "تعانقا" أكثر دقة وبعد دلالي لتصوير لواعج العشق، وصدق الشاعر من قوله "افترقا "، وكذلك استخدام " تفرقا" يدل عل أنها محبة آنية، أما استخدام " تعانقا" فيدل على شدة المحبة واستمرارها، وهو نقد يعتمد على التعليل والتوجيه.

٢-بثينة صاحبة جميل بن معمر:

" هي بثينة بنت حبا بن ثعلبة العذرية، شاعرة من بني عذرة، من قضاعة، اشتهرت بأخبارها مع جميل بن معمر العذري، وهو من قومها.... مات جميل قبلها فرثته ولم تعش بعده طويلا، وكان في شعرها رقة ومتانة، توفيت سنة ٨٢هـ"[٣٣].

ساهمت بثينة صاحبة جميل في إثراء الحركة النقدية النسائية ، وذلك عندما قامت بنقد شعر عمر بن أبي ربيعة، فقد ذكر أبو الفرج[٣٤] أن عمر بن أبي ربيعة خرج يريد الشام، فلما كان بالجناب لقيه جميل فتناشدا الأشعار، ثم قال عمر:" اذهب إلى بثينة نسلم عليها، فقال له جميل: قد أهدر لهم السلطان دمي إن وجدوني عندها وهاتيك أبياتها.

فأتاها عمر حتى وقف على أبياتها ، وتأنس حتى كُلمّ فقال: يا جارية أنا عمر بن أبي ربيعة فأعلمي بثينة مكاني، فخرجت إليه بثينة في مَباذلها وقالت: والله يا عمر لا أكون من نسائك اللاتي يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك، فانكسر عمر".

فقد عابت بثينة على عمر تشبيبه بنفسه ، وانتقدت هذا الاتجاه المنحرف في غزله، فقد أخذت على عمر بن أبي ربيعة في غزله من أنه يخالف العرف المتبع في الغزل، وهذا يعد من عيوب معاني الشعر في مخالفة العُرف، والإتيان بما ليس في العادة والطبع، فعمر يصور نفسه في صورة المعشوق والمطلوب ، ويصور صواحبه في صورة من قد قتلهن الوجد به، وهذا يخالف العرف.

كما انتقدت بثينة في شعر جميل بن معمر تقليده ومحاكاته لعمر بن أبي ربيعة في حواره القصصي ، وعجزه عن بلوغ مستواه في ذلك.

فقد جاء في الأغاني[٣٥] " أن بثينة لما قالت لابن أبي ربيعة: والله يا عمر لا أكون من نسائك اللاتي يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك ، قال لها قول جميل:

وهما قالتا لو أن جميلا* عرض اليومَ نظرةً فرآنا**

بينما ذاك منهما وإذا بي* أُعْملُ النصَّ سَيْرَةً زَفَيانَا**

نظرت نحو تِربها ثم قالت: قد أتانا –وما علمنا– مُنانا

فقالت: إنه استمل منك فما أفلح، وقد قيل : اربط الحمار مع الفرس ، فإن لم يتعلم جريه تعلم من خُلقه".

فقد أشارت بثينة بقولها هذا إلى تأثر جميل بطريقة عمر بن أبي ربيعة في الحوار القصصي، وعجزه عن تقليده وبلوغ مستواه في ذلك، وهذا يدل على دقة ملاحظتها، ومعرفتها بمواطن النقد والعيب في شعر جميل.

***عَزَّة صاحبة كثيّر:**

" دخلت يوما عزّة على كثيّر متنكرة فقالت: أنشدني أشدَّ بيت قلته في حب عزّة، قال: قلت لها:

وجدتُ بها وجدَ المضلِّ قلوصه* بمكة والرُكبانُ غادٍ ورائحُ**

قالت : لم تصنع شيئا، قد يجد هذا ناقة يركبها.

فأطرق ، ثم قال:

وجدت بها مالم يجد ذو حرارة * يمارس جمات الركي النوازح**

فقالت له : لم تصنع شيئا ، يجد هذا من يسقيه فاطرق ثم قال :

وجدت بها ما لم تجد أمُّ واحد* بواحدها تُطوى عليه الصفائح**

فضحكت ، ثم قالت: إن كان ولابد فهذا"(٣٦).

لقد أدركت عزة قيمة اختيار الألفاظ المناسبة التي تدل على المعنى وعمقه وصدقه.

فابتكار المعنى وإبداع في اللفظ، فالمبدع هو الذي يلم بالمعنى، ثم يضفي عليه من الصياغة ليخرجه مخرجا فنيا جعل عزة ترضى عن هذا المعنى الأخير وصياغته.

*ومن نقد عزة لكثيّر قوله:(٣٧)

ألا لَيْتَنا يا عَزَّ كُنَّا لِذِي غِنًى* بعيرينِ نرعى في الخلاءِ ونعزُبُ**

نكونُ لذي مال كثير مغفلٌ* فلا هُوَ يرْعانا ولا نَحْن نُطْلَبُ**

إذا ما وَردنا مَنْهلاً صَاحَ أهلُهُ* إلينا فما ننفكُّ نُرمى ونُضربُ**

فقالت عزة:" أردت بي الشقاء الطويل، ومن المنية ما هو أوطأ من هذا الحال".

لقد أدركت عزة أن كثيّرً أساء التعبير بهذا التمني المذموم، وهذا الأمر يعد عيبا عند النقاد في الشعر.

وهناك العديد من النساء الحجازيات اللاتي عرفن بالنقد مثل عقيلة بنت عقيل وغيرها.

فالمرأة الحجازية ساهمت في إثراء الحركة النقدية في عصر بني أمية، فقد كان لها موهبة قادرة على تذوق الشعر ومعرفة مواطن القوة والجمال، وتمييز جيده من رديئه.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه تسليما كثيرا، فقد تم بفضل الله وعونه هذا البحث عن " ظاهرة التخصص في الشعر والنقد في العصر الأموي وبيئة الحجاز– دراسة تحليلية نقدية"

وأرجو من الله العلي القدير أن أكون أعطيت الموضوع حقه، كما أرجو الاستفادة منه، فاللهم ألهمنا الصواب والحق، وعلمنا ما ينفعنا، واهدنا لأرشد أمورنا إنك نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله، والصلاة والسلام عل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

تم بحمد الله.

هوامش الفصل الأول

***المبحث الأول:**

١) تاريخ الإسلام، د/حسن ابراهيم حسن، المجلد الأول ص٥٣٢.
٢) الأغاني جـ ٢/٣٥.
٣) تاريخ الشعر العربي، نجيب البهبيتي ص١٢٠.
٤) المرجع السابق ص١٢١.
٥) الأغاني جـ١/٤٠٣.
٦) الأغاني جـ١/ ٤٠٨.
٧) أحلى قصائد الغزل العصر الأموي، د/صلاح الهواري، ص١٠.
٨) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د/عبد العزيز عتيق ص١١١.
٩) تاريخ الشعر العربي، نجيب البهبيتي ص ١٣٤، ص١٤٤.
١٠) شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي، ص٤١٨، ص٤١٩.
١١) دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، د/محمد عبد القادر أحمد ص١٢.
١٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٦٠، انظر أيضا : أحلى قصائد الغزل العصر الأموي، ص١٦، ص١٧.
الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة، مريضة النظر: أي منكسرة الأجفان.
١٣) العسلوج: الغصن اللين الأخضر.
١٤) انظر: دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، د/محمد عبد القادر أحمد، ص١٢.
١٥) الأغاني جـ١/٦١.

١٦) حديث الأربعاء ٣٠٩/١، انظر أيضا: في مواكب الخالدين، عبد السميع المصري، ص٨.

١٧) الأغاني ١٠٩/١، انظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٩٨.

١٨) معجم البلدان ياقوت الحموي.

١٩) الأغاني ٨٤/١، وانظر ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٩٨.

٢٠) دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، د/ محمد عبد القادر أحمد، ص١٠..ونظر ايضا ديوان عمر ص ١٦٧

٢١) الأغاني ٣٥/١، وانظر أيضا تاريخ الشعر العربي، نجيب البهبيتي ص١٥٥.

٢٢) أحلى قصائد الغزل العصر الأموي ص١٦، وانظر ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٠٦.

تفتر: تبتسم، الأشنب، ذو الشنب، أي الفم ذو الأسنان البيضاء.

الأقاحي : جمع الأقحوان وهو نبت ذو زهر أبيض تشبه الأسنان به، البرد: حب الغمام.

الحور : شدة سواد العين وبياض بياضها، الجيد: العنق، الغيد : الميل والتثني.

٢٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٤٣٨.

٢٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٣٩.

٢٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٦١

٢٦) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٣٠٧

٢٧) في مواكب الخالدين ص١٦.

٢٨) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٢٠٩.

٢٩) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٠٧، و أيضا: أحلى قصائد الغزل، ص١٦.

٣٠) أحلى قصائد الغزل ص١١.

٣١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٢٦.

٣٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٣٩، انظر أيضا في مواكب الخالدين ص٥.

٣٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٦٥.

٣٤) أحلى قصائد الغزل ص١١.

٣٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٦٠، ص١٦١.

أبى: امتنع، اسبطرّت: أسرعت

٣٦) أحلى قصائد الغزل ص١١.

٣٧) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١١١.

٣٨) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٩٢.

٣٩) أخباء النساء في كتاب الأغاني، جمع وشرح عبد الأمير مهنا ص٣٥، ص٣٦.

٤٠) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٣٨.

٤١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٩٧.

٤٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٢٣٥.

٤٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٩٦.

٤٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٢٤.

٤٥) حديث الأربعاء، طه حسين، ٢٩٥/١، وانظر أيضا في مواكب الخالدين ص٨.

٤٦) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٣٤٣.

٤٧) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٦٨، ص١٦٩.

٤٨) طبقات الشعراء، لابن سلام ص٢٨٢، انظر أيضا: تاريخ الأدب العربي العصر الأموي، د/قصي الحسين ص٢٠١.

٤٩) الكامل في الأدب، للمبرد ٢٠٩/١، انظر أيضا: تاريخ الأدب العربي العصر الأموي ، د/قصي الحسين ص٢٠١.

٥٠) تاريخ الأدب العربي العصر الأموي، د/ قصي الحسين ص١٩٩.

٥١) العصر الإسلامي ، د/شوقي ضيف ص٢٩٧.

٥٢) حديث الأربعاء ، طه حسين، ٢٥٢/١، دار المعارف ١٩٧٣.

٥٣) حديث الأربعاء، طه حسين، ٣٥٥/١.

٥٤) تاريخ الأدب العربي العصر الأموي ، د/قصي الحسين، ص٢٠٠.

٥٥) المرجع نفسه، ص٢٠٠.

٥٦) المرجع نفسه، ص ٢٠٠، ٢٠١.

٥٧) المرجع نفسه ص٢٠٣.

٥٨) ديوان ابن قيس الرقيات، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ص٣٥.

انظر أيضا: تاريخ الأدب العربي، د/قصي الحسين ص٢٠٢، ٢٠٣.

٥٩) ديوان ابن قيس الرقيات ص٥٦، انظر أيضا العصر الإسلامي ، د/شوقي ضيف ص٢٩٨.

٦٠) أعقبها: صار عقبها لي أو صارت لي

٦١) أعذبها: فمها.

٦٢) جذلان: فرح

٦٣) يرقبها: أي يرقب الصلاة.

٦٤) ديوان عبد الله بن قيس الرقيات ص١١٧، العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ص٢٩٨.

٦٥) مقدمة ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص١٢.

٦٦) مقدمة ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص ٩.

٦٧) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص٦٨.

الغنج: التدلل، الدعج: سعة العين وشدة سوادها.

الوصل: الجمع والمراد جمع المتحابين، الخُلجُ: الشك.

٦٨) مقدمة ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص١٥.

هوامش المبحث الثاني: من الفصل الأول:

١) ديوان جميل بن معمر ص١١٦، انظر أيضا دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي ، د/محمد عبد القادر أحمد ص٨.

٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي ص١٩.

٣) شرح القصائد العشر، للتبريزي، تحقيق د/فخر الدين قباوة، ص٣٠٣.

٤) دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، د/محمد عبد القادر أحمد ص١٨.

٥) المرجع نفسه ص١٨.

٦) المرجع السابق ص١٨.

٧) في مواكب الخالدين، عبد السميع المصري ص١٨.

٨) تاريخ الشعر العربي، نجيب البهبيتي ص١٦٦.

٩) الفتوح المكية ، لابن عربي ٢/ ٣٢٥.

١٠) ديوان جميل بن معمر ص١٣٨.

١١) ديوان جميل بن معمر ص ٢٧.

١٢) ديوان جميل بن معمر ص ١٠٨.

١٣) ديوان جميل بن معمر ص ٨١.

١٤) الميعة: حرارة الحب وقوته.

السجل: الدلو العظيمة مملوء ماء.

١٥) ديوان جميل بن معمر ص ١٢٨.

يغتبطان: يسعدان، الملكان: هما الموكلان بكتابة الحسنات والسيئات.

١٦) ديوان جميل بن معمر ص ٤٠، انظر أيضا مواكب الخالدين ص٢٣.

١٧) ديوان مجنون ليلى ص٧٠.

١٨) ديوان مجنون ليلى ص٧٥.

١٩) مؤكل: ضعيف، عزوفا: تاركا، الجلد: القوي الصبور.

٢٠) ديوان مجنون ليلى ص١٠٤، ص١٠٥.

*٢٠)ديوان مجنون ليلى ص١٦٨.

٢١) ديوان مجنون ليلى ص٢١.

٢٢) في الشعر الإسلامي والأموي، د/عبد القادر القط ص١٢، وأيضا أحلى قصائد الغزل ص٦.

٢٣) ديوان جميل بن معمر ص١٢٣.

٢٤) ديوان جميل بن معمر ص ٦٦.

٢٥) ديوان مجنون ليلى ص٢٠٧.

٢٦) ديوان مجنون ليلى ص١٥.

٢٧) أحلى قصائد الغزل العصر الأموي، د/صلاح الهواري ص٧.

٢٨) المرجع السابق، ص٧، ص٨.

٢٩) ديوان مجنون ليلى ص ٢٤، ص٢٥.

٣٠) ديوان مجنون ليلى ص ص١١٣.

٣١) أحلى قصائد الغزل ص٨.

٣٢) المرجع السابق ص٢٢.

٣٣) ديوان مجنون ليلى ١٤٦.

٣٤) ديوان مجنون ليلى ١٦٣.
٣٥) أحلى قصائد الغزل العصر الأموي ص٨.
٣٦) ديوان جميل بن معمر ص ٩٨.
٣٧) ديوان جميل بن معمر ص٣٨.
٣٨) ديوان مجنون ليلى ص ٢٢٣.
٣٩) ديوان مجنون ليلى ص ١٣٧.
٤٠) ديوان مجنون ليلى ص ٢١.
٤١) ديوان مجنون ليلى ص ١٩٣.
٤٢) ديوان مجنون ليلى ص ٢٢.
٤٣) ديوان مجنون ليلى ص ١٦.
٤٤) ديوان مجنون ليلى ص ٢٠٦.
٤٥) ديوان مجنون ليلى ص١٩.
٤٦) الصبابة : الشوق، الوصب : النحول
٤٧) رحبت : اتسعت، مضطرب: مكان متحرك.
٤٨) منشعب: تباعد متفرق.
٤٩) ديوان مجنون ليلى ص ١٧٤.
٥٠) ديوان مجنون ليلى ص١٧٩.
٥١) ديوان مجنون ليلى ص ١٩٨.
٥٢) ديوان جميل بثينة ص ٣٩.
٥٣) ديوان جميل بثينة ص٦١
٥٤) ديوان جميل بثينة ص٤١.
٥٥) ديوان مجنون ليلى ص ٧٠.
٥٦) أحلى قصائد الغزل ص٩.

٥٧) ديوان مجنون ليلى ص١٦.

٥٨) ديوان شعر ذي الرمّة ص٢٢٥. أحور: شديد بياض العين مع شدة سوادها ، ومنه الحوّاري وهو الدقيق.

المرط: الإزار، الصريمة: الرملة، ملاث: اللوث الطي، نفنق: بعد أو مسافة وهو متذبذب المرط، هضم: خمصاء البطن، الحشا : خضرها نحيف ، الخصر.

رأد الوشاحين: حائل الوشاحين إذا حال أصفر من الطيب.

٥٩) العقل في التراث الجمالي عند العرب، د/علي شلق ص٩٢.

٦٠) ديوان شعر ذي الرمة ص٣٨.

٦١) ديوان شعر ذي الرمة ص٣٤٢-٣٤٣.

٦٢) تاريخ الأدب العربي العصر الأموي، د/قصي الحسين ص١٩٢.

٦٣) تاريخ الأدب العربي العصر الأموي، د/قصي الحسين ص١٩٥.

٦٤) ديوان شعر ذي الرمة ص٤٨٥. مراويد: رياح ترود أي تجيئ وتذهب، هيج: أيبس الهيف : ريح حارة .

الهيج : الرياح الشديدة. المولهة : من الوله وهو القلق والحزن.

العُجل: جمع عجول و هي التي فقدت ولدها.

٦٥) ديوان شعر ذي الرمة ص١٣٩. دوّية : فلاة، اعتسفتها: سرت فيها على غير هداية.

الحسيس: الصوت.

٦٧)ديوان شعر ذي الرمة ص٢٨٦-٢٨٧. الصفصف: ما استوى من الأرض أو الأرض المستوية، الصريمة: الرملة تنصرم من معظم الرمل، تنحت : أخذت مكان جانبي .

ونصت: رفعت و نصبت، جيدها : عنقها، المناظر: كل مكان مرتفع تنظر منه.

وسنان : نائم والوسنة أول النوم، الكَرَى: النوم، ضعاف يعني قوائمه.

تهجره: مخافة السباع أن تستدل عليه، يفتنها: أي يسبقنها .

٦٨)ديوان شعر ذي الرمة ص٣، ص٥.

الجيد: العنق، اللبّات : موضع القلادة.

أفضى بها: صار بها إلى الفضاء وهو الخالي من الأرض.

اللبب: ضرب من الرمل.

اللمى: السرة في الشفة تضرب إلى الخضرة.

لحوة: حمرة في الشفة تضرب إلى السواد.

الشنب: برودة عذوبة في الفم و رقة في الأسنان.

٦٩)ديوان شعر ذي الرمة ص.٣٩٣

٧٠)ديوان شعر ذي الرمة ص.٥٠٢

٧١)ديوان شعر ذي الرمة ص ٢٨١.

هوامش الفصل الثاني: ظاهرة التخصص في النقد

١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د/عبد العزيز عتيق، ص١٠٥، ص١٠٦.

٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، الأستاذ طه أحمد ابراهيم ص٣٥.

٣) المرجع السابق ص٣٥.

٤) المرجع السابق ص٣٦.

٥) الأغاني ج١/ص٦١.

٦) الأغاني ج١ ص٦٢.

٧) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د/ عبد العزيز عتيق، ص١١٥.

٨) الأغاني ج١/٨٨-٨٩. وانظر أيضا : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص١١٦.

٩) الكامل للمبرد، عارضه بأصوله علق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم ٢/٢٣٩.

١٠) تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان، ص٢٣٤ -٢٣٥.

١١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د/عبد العزيز عتيق ص١٢٠.

١٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د/عبد العزيز عتيق ص ١٢٢.

١٣) المرجع السابق ص١٢٢.

١٤) الأغاني الجزء الأول ص٨٤.

١٥) الأغاني الجزء الأول ص٨٤.

يوّدّها: من أدّة الأمر يؤده ويئدّه إذا دعاه، والعقل : الحبس. والمحل : الجدب.

١٦) المصدر السابق ١/ص٨٤.

١٧) المصدر السابق ١/٨٤.

١٨) الأغاني ج١/١٢٠.

١٩) الأغاني ٣١٥/٤، انظر أيضا تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د/عبد العزيز عتيق ص١٦٢.

تقدَّت : سارت سيرا ليس بعجل ولا ببطىء.

٢٠) الأغاني ٣١٤/٤.

٢١) الأغاني ٣٢٣/٤، وانظر : الموشح للمرزباني ص٢٠٢، انظر أيضا تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د/عبد العزيز عتيق ص ١٢٦-١٢٧.

الغنج: حسن الدل والتكسّر والتدلل.

دعج: شدة سواد العين مع سعتها.

خلج: اضطراب يعني الفساد وعدم الوفاء بالوعد.

٢٢) الأغاني ج٢٦٤/١.

٢٣) الأغاني ٣٢١/٤، انظر أيضا تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د/عبد العزيز عتيق ، ص١٢٩، ١٣٠.

كلحظة العين: رمشتها، والقول كناية عن الوقت القصير، المهنا : أصله المهنأ : وهو كل ما أتاك بغير تعب ولا مشقة والباعث على السرور.

٢٤) الأغاني ج ٩٢/١.

٢٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د/عبد العزيز عتيق، ص١٣٤.

٢٦) الموشح للمرزباني ص٣٦، انظر كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص١٠٧-١٠٨.

٢٧) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د/عبد العزيز عتيق ص٢٣.

٢٨) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩٤/٢، انظر أيضا تاريخ النقد الأدبي ، د/عبد العزيز عتيق ص١٤٢.

٢٩) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩٤/٢-٣٩٥.

٣٠) الموشح للمرزباني ص٢٠٧، ص٢٠٨.

٣١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د/ عبد العزيز عتيق ص١٤٣.

٣٢) الموشح للمرزباني ص٢١٣، وانظر أيضا النقد العربي عند العرب ص١٤٤.

٣٣) أخبار النساء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، جمعه وشرحه عبد الأمير مهنا ص٥٢.

٣٤) الأغاني ٢٠٣/٧، ٢٠٤. وانظر أيضا تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د/عبد العزيز عتيق ص١٣٧.

٣٥) الأغاني ٢٠٤/٧.

النصَّ: السير الشديد الذي يستخرج فيه أقصى ما لدى الناقة من السير.

زفيانا: شدة هبوب الريح، وسير زفيان: أي سيرة سريعة.

استملى : أي أخذ عنك.

٣٦) الموشح للمرزباني ص٢٠١.

جُمَّت: الجمة الماء نفسه، الركي: الركية: البر.

٣٧) الموشح للمرزباني ص٢٠٨-٢٠٩.

المصادر والمراجع

١- أحلى قصائد الغزل العصر الأموي ، د/صلاح الهواري-دار التيسير ودار البحار- الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٢- أخبار النساء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، جمع وشرح عبد الأمير مهنا، مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت -لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٧م.

٤- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د/حسن ابراهيم حسن، الطبعة السابعة، المجلد الأول.

٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د/عبد العزيز عتيق-دار النهضة العربية ، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٦- تاريخ الأدب العربي العصر الأموي، د/قصي الحسين، دار مكتبة الهلال - بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٧- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، الأستاذ: طه أحمد ابراهيم- المكتبة العربية ، بيروت-لبنان ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٨- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان، دار مكتبة الحياة-بيروت -لبنان ١٩٨٣م.

٩- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهبيتي، دار الثقافة-الدار البيضاء.

١٠- حديث الأربعاء، طه حسين-دار المعارف، بمصر ١٩٧٣م.

١١- دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، د/محمد عبد القادر أحمد، دار النهضة المصرية-القاهرة-الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

١٢- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، شرحه وضبط نصوصه وقدم له د/عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

١٣- ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د/فايز محمد، دار الكتاب العربي ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٤- ديوان جميل بثينة، دار صادر ، بيروت- الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م.

١٥- ديوان مجنون ليلى ، شرح د/يوسف فرحات، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٦- ديوان شعر ذي الرمّة غيلان بن عقبة العدوي ، عني بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنري، هيس مكارتني ، عالم الكتب.

١٧- شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي، تحقيق د/فخر الدين قباوة-دار الأفاق الجديدة-بيروت-لبنان-الطبعة الرابعة.١٤٠٠هـ ١٩٨٠م

١٨- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧م.

١٩- طبقات الشعراء ، لابن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، ١٩٨٥م.

٢٠- العصر الإسلامي، د/شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة التاسعة.

٢١- العقل في التراث الجمالي عند العرب ، د/علي شلق، دار المدى، بيروت- لبنان، دار نعمة.

٢٢- في مواكب الخالدين، عبد السميع المصري، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٠م.

٢٣- في الشعر الإسلامي والأموي، د/عبد القادر القط-دار المعارف ، القاهرة.
٢٤- الفتوحات المكية، لابن عربي- القاهرة ١٩٨٥م.
٢٥- الكامل في الأدب ، للمبرد، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الجيل- بيروت ١٩٦٨م.
٢٦- الكامل، لأبي العباس بن محمد يزيد المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي.
٢٧- الموشح للمرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.
٢٨- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي، دار الفكر للطباعة ط٣.
٢٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان، حققه د/إحسان عباس، دار صادر -بيروت.